

# الإعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية: تحليل لأهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية(\*)

محمد بنهلال(\*\*)

أستاذ باحث في الكلية المتعددة التخصصات، في تازة،  
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس - المغرب.

## مقدمة

كانت فكرة تكنولوجيا الاتصال، باعتبارها أداة لتعزيز المسار والممارسة السياسية، تعقب دوماً الابتكارات التكنولوجية التي يتم التوصل إليها. ففي القرن التاسع عشر، رأى أنصار فلسفة سان سيمون في التلغراف وسيلة لتواصل عالمي بين الشرق والغرب. وتطورت النظرة إلى الآثار التي تنتجها وسائل الإعلام بتطور النظريات، انطلاقاً من ظهور نظرية الثقافة ووسائل الإعلام الجماهيرية، ووصولاً إلى اتجاهات نظرية معاصرة، على نحو ما سنراه في هذا البحث. وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الباحثين أكدوا ابتداء من سنوات السبعينيات أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال تدعم الديمقراطية بشكل إيجابي، كما شدد آخرون خلال سنوات الثمانينيات على دورها في دفع الأنظمة الديمقراطية نحو مزيد من التداول والمشاركة المباشرة للمواطنين في الحياة السياسية. وهكذا، في إطار أزمة الديمقراطية التمثيلية التي تعرفها المجتمعات الغربية، ومع انتشار الإنترنت وازدياد استعمالها وسهولة الوصول إليها، ارتفعت التوقعات الجديدة التي تشير إلى أن الإعلام الجديد<sup>(١)</sup> وتكنولوجيا

(\*) في الأصل ورقة قُدمت إلى: «أي دور للإعلام والصحافة في التأثير على أجندة السياسات العامة؟»، الندوة الدولية التي نظمتها كلية الحقوق في مراكش: ٢١ و ٢٢ تشرين الأول /أكتوبر ٢٠١٠.

(\*\*) البريد الإلكتروني: benhlal.mohamed@hotmail.fr.

(١) من جهة، يعني الإعلام الجديد أشكال التواصل القائمة على العالم الرقمي والمشتتة على النشر من خلال استعمال الأقراص المضغوطة، والفيديو الرقمي والإنترنت، وباعتماد على استعمال الحواسيب والشبكات اللاسلكية. ومن جهة أخرى، يعني الطرق الجديدة للتواصل في العالم الرقمي، التي تمكن المجموعات الصغرى من الأفراد من الاجتماع على شبكة الإنترنت، واقتسام السلع والخدمات وبيعها وتبادلها. إنها تسمح للأفراد بامتلاك صوت في مجتمعهم وفي العالم. ويُستعمل تعبير الإعلام الجديد في مواجهة وسائل الإعلام التقليدية، التي تشير إلى أشكال التواصل السابقة على الإعلام الجديد، وتشمل التلفزة، المذياع، الجرائد، والأفلام، المجلات والكتب... إلخ.

التعريف وَدَّ في: «Definition of: New Media», PC Magazine, < [http://www.pcmag.com/encyclo/pedia\\_term/0,2542,t=new+media&i=47936,00.asp](http://www.pcmag.com/encyclo/pedia_term/0,2542,t=new+media&i=47936,00.asp) >.

المعلومات والاتصال الجديدة تقدم وسيلة للتواصل يمكن الوثوق بها، تضمن قدرات تخزين للمعلومات، وتقلل من تكاليف عمليات الاتصال، وبالتالي يمكن أن تساهم في فعالية المسار السياسي والأداء الحكومي<sup>(٢)</sup>، وبصفة عامة الممارسة السياسية كمجموعة من الإجراءات، والخطوات، والأعمال التي تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية، أو إلى تحقيق عناصر المشروع المجتمعي للأفراد أو المؤسسات أو التنظيمات المجتمعية بشكل عام (المشاركة في الانتخابات، تنظيم النشاط السياسي، عمليات التعبئة، القرارات السياسية... إلخ).

ويرى البعض أن بالإضافة إلى الآثار الإيجابية في الديمقراطية التمثيلية في المجتمعات الغربية، فإن للإنترنت، وباقي آليات تكنولوجيا المعرفة والاتصال الجديدة الأخرى، آثاراً إيجابية مهمة في الحركات المعارضة في الأنظمة غير الديمقراطية. كما أنها تدعم الديمقراطية في الدول التي تعيش مسلسلاً للانتقال<sup>(٣)</sup>، وهي بالتالي اتجاهات عالمية تجعل محاولة البحث في الإمكانيات التي تمتلكها وسائل الاتصال الحديثة، وفي تفعيل الممارسة السياسية في الوطن العربي، وكذا محدّداتها، ذات أهمية خاصة. وعليه، سنحاول بدايةً تحليل تطور وسائل الإعلام، وعرض الاتجاهات النظرية الرئيسية بشأن آثار وسائل الإعلام، قبل التطرّق إلى تقييم مستويات أدوارها في تفعيل الممارسة السياسية في بُعدها العالمي، وإمكاناتها ومحدّداتها في الوطن العربي.

## أولاً: تطور وسائل الإعلام، والاتجاهات النظرية الأساسية بشأن آثارها

إن مصطلح «الميديا» (Media)، الذي يعني الإعلام، هو مصطلح عام يشير إلى الأداة (كتاب، مذيع، شبكة إلكترونية... إلخ)، لكن يشير أيضاً إلى نقل المعارف والرسائل بين الأشخاص. ويرتبط تطوّر النظريات بشأن الاتصال بتطور وسائل الاتصال التي تتأسس بدرجة كبيرة على التغيرات الحاصلة في التكنولوجيا.

وعليه، من الأهمية بمكان التطرّق إلى التطوّر الذي عرفته وسائل الاتصال الجماهيري قبل التطرّق إلى التطوّر النظري، رغم أن ذلك ينبغي ألا يدفع إلى الاعتقاد باقتران النظريات بصنف تكنولوجيا الاتصال، التي انصبت على تحليلها، إذ إن العديد من النظريات تبقى صالحة كأساس لفهم أثر وسائل الاتصال التي ظهرت بعد إنشائها، وتجذب أنصاراً جديداً حتى بعد زهاب مؤسسيها.

(٢) Tiago Peixoto, «E-Participatory Budgeting: E-Democracy from Theory to Success?», European University Institute - Electronic Democracy Center, Working Paper (25 September 2008), p. 6, < [http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract\\_id=1273554](http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1273554) > .

(٣) Pippa Norris, «Will New Technology Boost Turnout?: Evaluating Experiments in E-Voting V. All-Postal Voting Facilities in UK Local Elections», Harvard Kennedy School, Faculty Research Working Papers Series (2003), p. 2, < <http://web.hks.harvard.edu/publications/workingpapers/citation.aspx?PubId=1573> > .

## ١ - تطور وسائل الإعلام: من الكتاب إلى وسائل الاتصال الجماهيري

إذا اقتصر كلامنا على الحقبة التاريخية الممتدة من نهاية القرون الوسطى وبداية العصور القديمة<sup>(٤)</sup> إلى الآن، فإننا نحيد التطرق إلى هذه الفترات الطويلة من سيورة وسائل الاتصال الجماهيري من خلال الحديث عن وسائل الاتصال التقليدية، قبل أن نتطرق إلى وسائل الاتصال الجديدة، محاولين أن نحدد العوامل التي تحكمت في انتشار الصنفين.

### أ - وسائل الإعلام التقليدية

يعدّ الكتاب إحدى وسائل الاتصال التي انتشرت بسبب الأنشطة المتمحورة حول المطبعة في أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر. وقبل أن يصير الكتاب أكثر تداولاً، كان

اقتناؤه في بداية الأمر مقتصرًا على شرائح محدودة تتمثل في الطبقات المستنيرة من المجتمعات الغربية، التي امتلكت الإمكانات المالية اللازمة لاقتناؤه، خاصة أن ثمنه كان مرتفعاً بسبب اعتماد طباعته على عمل عائلات احتكرت أشغال طباعة الكتب بنسخ محدودة لكنها غالية.

وبعد أن تم التحوّل نحو كتب العلماء وكتب الترفيه، سيعرف رواج الكتب ازدياداً كبيراً، خاصة مع ظهور الإشهار، الذي خفّض أثمانها بشكل

**الصحافة على شبكة الإنترنت لا تقدّم لمستعمل هذه الشبكة مقالات فحسب، بل تعطيه أيضاً فرصة التعليق، والدخول مع مؤلفيها في محاورات ونقاشات.**

لافت للنظر. ورغم ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن لحظة الانعراج الكبير في وسائل الاتصال الجماهيرية خلال هذه الفترة ستحصل مع ظهور الصحافة، التي تباع بسبب الإشهار بأثمان تقل عن ثمن طباعتها، فارتفعت النسخ المسحوبة منها من ٨٠ إلى ١٨٠ ألف نسخة، وهو أمر ساهم فيه، إضافة إلى إقبال الجمهور وارتفاع هامش الحرية الذي سمحت به الأنظمة السياسية في أوروبا وأمريكا آنذاك، تطوّر تكنولوجيا الطباعة<sup>(٥)</sup>.

من جهة أخرى، سمح تطوّر التكنولوجيا في ميدان الصورة والصوت للسينما مع بداية القرن العشرين بأن تصبح أداة رئيسية لنقل القيم والرسائل، وتشكّل مجالاً لتعاون مختلف الفنون انطلاقاً من الرواية إلى المسرح والموسيقى... إلخ. ومنذ منتصف القرن العشرين، ستعرف تكنولوجيا الاتصال تطوّرًا متسارعاً، انطلاقاً من اختراع المذياع ثم التلفزة، إلى شبكات الاتصال التي مكّنت من سرعة نقل المعلومات، وصولاً إلى البث الفضائي والهواتف النقالة وشبكة الإنترنت.

(٤) نصفها بالقدمة لا بالمعنى القدحي أو لأنها لم يعد لها دور كبير، بل للقول إن الكتاب الورقي، كواحد من أشكالها، ما زال يؤدي دوراً كبيراً لدى الأمم والمجتمعات. واعتماد نعت «قدمة» هو فقط لتمييزها من الوسائل الجديدة التي تعدّ أكثر انتشاراً وصعوداً في مجتمعات اليوم، فضلاً عن تزايد تأثيرها في الأفراد.

(٥) Françoise Tristani, «Histoire des Médias: De Diderot à internet,» édité par Frédéric Barbier et

Catherine Bertho-Lavenir, *Réseaux*, vol. 14, no. 80 (1996), p. 187.

## ب - خصائص وسائل الإعلام الجديدة

تشهد تكنولوجيا الاتصال تحولاً كبيراً تجعلنا ننتقل من آلات تعتمد على التماثل (analogue) إلى أخرى رقمية (Digital)؛ من آلات لها وظيفة وحيدة إلى آلات متعددة الوظائف، وهو ما يجعل وسائل الاتصال الجماهيري تملك خصائص ترفع من كفاءتها ومن فعاليتها في القيام بالأدوار التي صُنعت من أجلها. ومن بين أهم هذه الخصائص يمكن الإشارة إلى ما يلي:

### (١) الاستعارة والالتقاء

الاستعارة هي قيام وسيلة الاتصال باقتباس المواضيع والتقنيات المستعملة في وسيلة أخرى سابقة لها، أو لاحقة عليها، بشكل لا يجعلها مجرد استعمال مماثل لما تؤديه الوسيلة المستعارة منها. فمثلاً تركز معالجة النصوص في الحاسوب على تقنيات الآلة الكاتبة، لكنها تقدم إمكانات أكثر مما كانت توفره هذه الأخيرة. كما أن التلفزة تستعمل الشاشة المقتسمة والعنوان لتقدم الأخبار، مثلما يحصل في الإنترنت. إن هذا يجعل وسائل الاتصال الجماهيري تتأثر في ما بينها، وهو ما يجعل تطورها أكثر من مجرد تعاقب يؤدي إلى حلول الوسائل الجديدة محل القديمة منها<sup>(٦)</sup>.

أما الالتقاء، فيشير إلى سفر المضامين بين مختلف وسائل الاتصال، الأمر الذي يؤدي إلى نوع من التوحد في معالجتها، أو إلى حصول تأثيرات متقاربة.

### (٢) وسائل الإعلام الجديدة وسائل «ذكية»

صارت وسائل الاتصال اليوم أكثر «ذكاء» لأنها تتوافر على حواسيب صغيرة مدمجة فيها، وذلك حتى بالنسبة إلى الاستعمالات الشخصية، وهو ما يوفر للمستعمل إمكانية التشفير وفك التشفير، وتخزين المعلومات، متجاوزاً الاستعمال البسيط الذي كان يميز ما سبقها من وسائل الاتصال. فالهاتف النقال في نسخته الحالية لا يقدم فقط وظيفة الاتصال، وإنما يمكن استعماله أيضاً في معالجة النصوص، والربط بشبكة الإنترنت، وبرمجة المواعيد والمكالمات... إلخ.

كما أن المدونات على الإنترنت تسمح للمتصفح بالتفاعل مع ما هو معروض من خلال انتقاده أو إغنائه، والأمر نفسه ينطبق على الصحافة على شبكة الإنترنت، التي لا تقدم للمستعمل مقالات صحفية فحسب، بل تعطيه أيضاً فرصة التعليق والدخول مع مؤلفيها في محاورات ونقاشات، بل إنها تشكل في بعض الأحيان مناسبة لانطلاق مراسلات بين القراء وأصحاب المقالات، وهو ما لا توفره الصحافة الورقية، مع العلم أن الصحافة الإلكترونية تتكوّن في جزء كبير منها ممّا هو مكتوب في الأولى.

(٦) Sarah Sepulchre, «La Constellation transmédiatique de breaking bad: Analyse de la complémentarité trouvée entre la télévision et Internet,» *Essachess: Journal for Communication Studies*, vol. 4, no. 1 (2011), p. 177.

## ٢ - تطوّر النظريات بشأن تكنولوجيا الإعلام

شهدت النظريات التي حاولت تحليل وتفسير أدوار وسائل الإعلام تغييرات مهمة<sup>(٧)</sup> على مدى القرنين الماضيين. وقد بلغ عدد تلك النظريات ما يقرب ١٥٠ نظرية<sup>(٨)</sup>، نكتفي باستعراض مضامين بعض نماذجها، رغم أن بعض هذه المقتربات تجاوزها الزمن والأحداث، ابتداء من نظرية وسائل الاتصال الجماهيري في القرن التاسع عشر، ووصولاً إلى مجموعة من الاتجاهات المعاصرة.

### أ - نظرية وسائل الإعلام الجماهيرية والثقافة الجماهيرية

تعود الأفكار الأولى المدرجة ضمن إطار مرحلة الاتصال الجماهيري إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وهي فترة تميزت بالانتشار السريع للمصانع الكبرى في المناطق الحضرية، بالتزامن مع ارتفاع وتيرة هجرة الأفراد من المناطق الريفية إلى داخل المدن في الدول الصناعية، وظهور المطابع التي سمحت بإنشاء الصحف القابلة للبيع بأسعار منخفضة لجمهور من القراء أخذ في الازدياد بوتيرة متسارعة.

وقد تميّز الكتاب المنتمون إلى هذا المقرب بالتشاؤم حيال ما يمكن أن تؤدي إليه وسائل

---

(٧) تحدث التغييرات في نظريات وأبحاث وسائل الاتصال الجماهيري، مثل الطقس العاصف المضطرب، بشكل سريع جداً، بحيث يصعب تحديد تاريخ دقيق لتلك التغييرات، أو القيام بتحليلها بشكل ملائم. وعلى حد تعبير جينين برايان (Bryant) ودورينا ميرون (Miron)، تقف وراء تلك الصعوبة عوامل عدة، بعضها يرتبط بوسائل الإعلام ارتباطاً وجيهاً: على سبيل المثال:

- أ - جميع وسائل الاتصال الجماهيري الإعلامية تشهد تغييرات جذرية في الشكل والمضمون.
- ب - الأشكال الجديدة لوسائل الاتصال التفاعلية، مثل شبكة الإنترنت، التي تغيّر نماذج الاتصال التقليدية القائمة على الاتصال من فرد واحد إلى مجموعة من الأفراد إلى الاتصال من المجموعة إلى المجموعة.
- ج - أنماط ملكية وسائل الاتصال، التي تميل بشكل كبير، وبحدة أحياناً، إلى تجاهل الترفيه، والبرامج التربوية والإخبار، والاحتياجات السياسية والاجتماعية....
- د - تغيّر أنماط المشاهدين وعاداتهم في مختلف أنحاء العالم.
- هـ - خضوع الأسرة، باعتبارها الوحدة الرئيسية التي يتم فيها استهلاك مختلف وسائل الاتصال واستعمالها، إلى تغييرات ملحوظة تؤثر في استعمال الأفراد لتلك الوسائل وفي سيكولوجيتهم وثقافتهم.
- و - تقوم وسائل الاتصال التفاعلية خلال هذه المرحلة بإعادة تحديد حياة الشباب في المنازل، وذلك حتى في البيئات الأسرية الأكثر تشبهاً بالتقاليد.

تحديات حصر النظريات وتحليلها يطرحها أيضاً تعدّد المقتربات الإبيستمولوجية والمنهجية، التي تؤدي إلى وجود كم هائل من المعارف بشأن وسائل الاتصال الجماهيري المنتجة من قبل الباحثين في مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية، وإلى نقائص في تحديدها وفهمها. ووضعية تضخّم المعارف حول تلك الوسائل تتركز أكثر مع انتشار المصادر العلمية المتعلقة بها.

انظر: Jennings Bryant and Dorina Miron, «Theory and Research in Mass Communication», *Journal of Communication*, no. 54 (2004), pp. 662-663.

Stanley J. Baran and Dennis K. Davis, *Mass Communication Theory: Foundations, Ferment, (٨) and Future*, 6<sup>th</sup> ed. (Boston, MA: Wadsworth, 2010), p. 18.

الاتصال من مساوئ، من قبيل تقويض النظام الاجتماعي القائم والمؤسسات الديمقراطية، وتهديد ثقافة وقيم النخبة آنذاك (ثقافة المجتمع القروي الذي شكّل آنذاك الغالبية وخضع لمنافسة قوية من المجتمع الحضري المتصاعد في المدن، والمتوسع بفعل ما عرفتة الدول الغربية من عملية تصنيع كبرى ساهمت في انتقال مركز الثقل لاحقاً من القرية إلى المدينة، خاصة في ظل تصاعد الهجرة من البادية إلى ضواحي المدن الصناعية، بهدف حصول المهاجر على الشغل وعلى ما يقدمه التحضر من بيئة عيش جديدة... إلخ). هذا التشاؤم النظري اختلط مع سيادة نوع من التفاؤل بشأن وسائل الاتصال الجماهيري كأداة يمكن أن تُستعمل من أجل إعادة ترميم النظام المجتمعي القديم أو بناء آخر جديد.

الخصوصية الأساسية لمنظري المجتمع الجماهيري والثقافة الجماهيرية، هي أنهم بالغوا في التأثير الذي تحدثه وسائل الاتصال الجماهيري، وفي قدرتها على تحفيز التغيرات المجتمعية والثقافية. إنها تتأسس على خلفية التأثير السريع والتلقائي للأفراد بالرسائل التي تتضمنها تلك الوسائل، وبعدهم توقّره على إمكانية مقاومتها.

## ب - نظرية فرانكفورت

أنجبت مدرسة فرانكفورت بصفة مبكرة نموذجاً مبكراً للدراسات الثقافية النقدية لوسائل الإعلام الجماهيرية والثقافة؛ إذ طوّرت هذه المدرسة لوسائل الإعلام مقرباً نقدياً ومتعدد التخصصات يقوم على الجمع بين نقد الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام، وتحليل النصوص، ودراسات الآثار الاجتماعية والأيدولوجية الناجمة عن استقبال الجمهور للثقافة الجماهيرية والإعلام.

وقام أنصار هذه المدرسة، ومن أبرزهم تيودور أدورنو (T. Adorno) وماكس هوركهايمر (M. Horkheimer)، بفحص الصناعات الثقافية كشكل من أشكال إدماج الطبقة العاملة في المجتمعات الرأسمالية. لقد كانت مدرسة فرانكفورت واحدة من مجموعات الماركسية الجديدة التي درست آثار الثقافة الجماهيرية وظهور المجتمع الاستهلاكي في الطبقات العاملة التي تنظر إليها على أنها أداة للثورة وفق أدبيات الماركسية الكلاسيكية. وقد حل أنصار هذه المدرسة أيضاً الكيفية التي تساهم الصناعات الثقافية والمجتمع الاستهلاكي بواسطتها في استقرار الرأسمالية المعاصرة، وسعوا إلى تحديد الاستراتيجيات الجديدة للتغيير السياسي في أفق تحقيق التحرر السياسي<sup>(٩)</sup>.

علاوة على ما سبق، ركّزت مدرسة فرانكفورت اهتمامها على التكنولوجيا والثقافة، مشيرة إلى تحوّل التكنولوجيا إلى قوة رئيسية لتكوين التنظيم الاجتماعي وإنتاجه وللسيطرة عليه؛ فهربرت ماركيوز ذهب في مقال صدر له في عام ١٩٤١ (بعنوان «بعض الآثار الاجتماعية

(٩) Douglas Kellner, «The Frankfurt School and British Cultural Studies: The Missed Articulation», Douglas Kellner Website, < <http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/kellner.html> > .

للتكنولوجيا الحديثة» إلى أن التكنولوجيا المعاصرة تشكّل أداة لتنظيم وإدامة (أو تغيير) العلاقات الاجتماعية، ومظهراً من مظاهر أنماط السلوك والفكر السائد، ووسيلة للسيطرة والهيمنة. وفي مجال الثقافة، تنتج التكنولوجيا ثقافة شاملة تعود الأفراد على الامتثال لأنماط التفكير والسلوك المهيمنين، وبالتالي توفر أدوات قوية للرقابة الاجتماعية والهيمنة<sup>(١٠)</sup>.

### ج - نظرية الأثر المحدود لوسائل الاتصال الجماهيري

مع منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، قام لازارسفيلد (Lazarsfeld) وباقي

**بالغ منظرهم المجتمع الجماهيري والثقافة الجماهيرية في التأثير الذي تحدثه وسائل الاتصال الجماهيري، وفي قدرتها على تخفيف التغيرات المجتمعية والثقافية.**

الباحثين في وسائل الاتصال الجماهيرية ذوي النزعة التجريبية، بتجميع كم هائل من المعطيات والبيانات. وقد دفعهم تحليلها إلى الاستنتاج بأن وسائل الاتصال لم تكن قوية على النحو الذي كان يُخشى منه أو كان يُؤمل به. على العكس من ذلك، خلص هؤلاء الباحثين إلى أن الناس يمتلكون آليات عديدة لمقاومة تلك الوسائل، وإلى أن تشكل مواقفهم يخضع للعديد من العوامل، مثل الأسرة والأصدقاء والجماعات الدينية. وبدلاً من أن تكون

وسائل الاتصال قوة اجتماعية مدمرة، كما ذهبت إلى ذلك نظريات المجتمع الجماهيري السابقة، يبدو أنها تنحو، وفي كثير من الأحيان، إلى تعزيز الاتجاهات الاجتماعية القائمة<sup>(١١)</sup>.

ورغم أن هذه النظرية ظهرت منذ ما يزيد على ستين عاماً، فإنها ما زالت تجد صدى وقبولاً في العديد من الأبحاث الأكاديمية<sup>(١٢)</sup>، وذلك على الرغم من التحولات الملحوظة في البنية الاجتماعية والسياسية، ومن تغير زاوية النظر في آثار وسائل الاتصال من الاهتمام بتغيير المواقف والسلوك على المدى القصير إلى إعطاء الأولوية للآثار غير المباشرة من قبيل إعداد جدول الأعمال، التأطير، معالجة المعلومات، وغيرها من الآليات التي تؤثر في التصورات على المدى الطويل الأجل<sup>(١٣)</sup>.

(١٠) Douglas Kellner, «The Frankfurt School and British Cultural Studies: The Missed Articulation,» Douglas Kellner Website, < <http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/kellner.html> > .

(١١) Baran and Davis, *Mass Communication Theory: Foundations, Ferment, and Future*, p. 30.

(١٢) تشمل نظرية الآثار المحدودة اليوم مجموعة صغيرة من النظريات الإعلامية، التي ترى أن وسائل الإعلام تقوم، إلى حد ما، بأدوار محدودة في حياة الأفراد والمجتمع الأوسع، وهي نظريات مفيدة بشكل خاص في شرح التأثير على المدى القصير لاستعمال تكنولوجيا الاتصال في أنواع مختلفة من المتلقين. ويُعتك كثير من هذه النظريات بالنظريات الإدارية لأنها تُستخدم لتوجيه القرارات العملية لمختلف المنظمات. على سبيل المثال، يمكن لهذه النظريات أن تقود البحث الذي يقوم به المعلنون في التلفزيون من أجل تطوير وتقييم استراتيجيات الحملات الرامية إلى تعزيز مبيعاتهم. انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠.

(١٣) Robert O. Wyatt, «After 50 Years, Political Communication Scholars Still Argue with Lazarsfeld,» *Journal of Communication* (Spring 1998), p. 146.

## د - الماركسية الجديدة

انسجاماً مع النظرية الأم الماركسية حول دور وسائل الاتصال الجماهيري<sup>(١٤)</sup>، تعتبر مجموعة من المنظرين المنتمين إلى تيارات الاشتراكية الأوروبية - الذين قاوموا بشدة هيمنة الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، ويُسمّون الماركسيين الجدد - أن وسائل الاتصال تمكّن النخب الاجتماعية المهيمنة من خلق سلطتهم والحفاظ على استمراريتها، من خلال استثمار الإمكانيات التي تخولها تلك الوسائل، والمتتمّلة في ما يلي:

- إنها تقدم آلية مريحة، ولكنها فعالة في تعزيز التصورات المتعلقة بالمجتمع والاقتصاد والسياسة والملائمة لمصالح النخب المهيمنة.

- إنها في المجال العام من أدوات الصراع الثقافي التي تمكّن من تكريس ثقافة مهيمنة ودعم استمراريتها.

- إنها تُستعمل لتهميش المعارضة، وتقديم الوضع القائم (status quo) باعتباره السبيل الوحيد المنطقي والعقلاني لهيكل المجتمع<sup>(١٥)</sup>.

## هـ - مدرسة الدراسات الثقافية الإنكليزية

خلال سنوات الستينيات، طوّر بعض الماركسيين الجدد في بريطانيا مدرسة النظرية الاجتماعية، التي يشار إليها على نطاق واسع باسم الدراسات الثقافية البريطانية. وقد ركّز المنتمون إلى هذه المدرسة (من أمثال ستيفوارت هال وريتشارد هوغارت...) بشكل كبير على وسائل الاتصال الجماهيرية ودورها في تعزيز نظرة وثقافة مهيمنة بين مختلف شرائح المجتمع، حيث درسوا كيفية استخدام وسائل الاتصال، وتوجهوا إلى تقييم كيف يمكن أن يؤدي ذلك الاستعمال إلى جعل الناس يساندون الأفكار التي تدعم النخب المهيمنة.

إن هذا الموقف النظري الذي تتبناه الدراسات الثقافية ينسجم مع مشروعها الأولي الذي وضعه ريتشارد هوغارت وريمون ويليامز وتومسون أ.ب.، سعياً إلى حماية ثقافة الطبقة العاملة من الثقافة التي تنتجها الصناعات الثقافية. وهو مشروع يفترض أن الطبقة العاملة الصناعية تعدّ قوة التغيير التقدمي، يتعيّن تعبئتها وتنظيمها من أجل النضال ضد عدم المساواة في المجتمعات الرأسمالية القائمة، ومن أجل مجتمع اشتراكي أكثر مساواة.

علاوة على ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الدراسات الثقافية البريطانية اهتمت أيضاً بثقافات الشباب بهدف إيجاد أشكال جديدة للمعارضة وللتغيير الاجتماعي؛ حيث أظهرت الدراسات الثقافية البريطانية كيف تشكّل الثقافة نماذج متميزة للهوية وللعضوية في الجماعة ذات

(١٤) تفترض تصورات النظرية للماركسية في صورتها التقليدية، المبنية على مقولات الصراع الطبقي وغيرها من مفاهيم هذه النظرية، أن وسائل الاتصال الجماهيري تكون دوماً تابعة وخادمة للمصالح الأيديولوجية للطبقة المهيمنة في مجتمع الطبقات. تلك الطبقة التي تقوم بالتحكم في مضامينها وتطويعها لكي تستجيب لتلك المصالح.

Baran and Davis, Ibid., p. 34.



مقومات كبيرة لمقاومة الثقافة والهوية المهيمنة، وخلق هويات وأنماط خاصة بها<sup>(١٦)</sup>.

## و - الاتجاهات النظرية الحالية

أدى تغيّر المعطيات السوسولوجية والتكنولوجية في المجتمعات المعاصرة، وظهور وسائل الاتصال الجديدة، إلى بروز محدودية كبيرة في قدرة المقتربات النظرية السابقة على تحليل وتفسير أدوار وسائل الاتصال الجماهيري، وتأثيرها في الأفراد. ورغم مرور عقود عديدة على ظهور نظرية الأثر المحدود لوسائل الاتصال الجماهيرية، فقد حافظت هذه النظرية على نوع من الجاذبية في دراسات الاتصال الجماهيري. لكن يجب ألا يحجب هذا عن التحليل ما تتعرض له نظرية الأثر المحدود نفسها من انتقادات تتمثل في عدم قدرتها على تفسير الحالات التي يبدو فيها جلياً أن وسائل الاتصال الجماهيري تقوم بدور كبير في التغير الاجتماعي، ولها تأثير قوي في الأفراد. ومن الأمثلة على ذلك تأثير التلفزة في سلوك الأطفال، ورفع المنتديات الاجتماعية وشبكة الإنترنت من قدرة الأفراد على التعبئة والتنظيم... إلخ.

ويمكن القول إننا اليوم في بداية سياق ظهور نظريات جديدة حول أثر وسائل الاتصال الجماهيري، سواء في شكلها التقليدي أو في شكلها الجديد. ومن بين أمثلة النظريات التي تحاول مقارنة وسائل الاتصال بطريقة مختلفة عن المقاربات السابقة، نظرية الإطار (Framing Theory)، التي تنحو إلى تفسير السيورة التي يمتلك من خلالها الأفراد التصورات حول قضية، أو يعيدون توجيه تفكيرهم حولها، بحيث يشير الإطار إلى مجموعة من المفاهيم المجردة التي يستعملها الأفراد لتنظيم وهيكله المعاني الاجتماعي للأحداث والرسائل.

ووفق هذه النظرية، يتولّى الإطار المكوّن من قبل كلّ شخص تنظيم واقع الحياة اليومية لديه، وذلك من خلال إعطاء معنى لما يقع من أحداث، وتعزيز تعريفات وتفسيرات معيّنة للقضايا السياسية. ويعمل الباحثون على تتبّع ودراسة الأطر التي يملكها الأفراد، من أجل تحديد الاتجاهات في تعريف القضايا، والكيفية التي يتم التعاطي بها معها، ومقارنة تغطية وسائل الاتصال لها وفحص الاختلافات في تلك التغطية<sup>(١٧)</sup>. أما أهمية دراسة الأطر، فتتمثل في كون هذه الأخيرة تؤثر في مواقف الجمهور وسلوكاته، وهو تأثير تفسره تلك النظرية بكون الأطر التي تستخدمها النخب (على سبيل المثال، السياسيون، ووسائل الإعلام، وجماعات المصالح... إلخ) يعيد الجمهور استخدامها عادة، متخذاً ما توحى به وتؤدي إليه تلك الأطر من مواقف وقرارات وسلوكات<sup>(١٨)</sup>.

Douglas Kellner, «The Frankfurt School and British Cultural Studies: The Missed (١٦) Articulation,» Douglas Kellner Website, < <http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/kellner.html> > .

Dennis Chong and James N. Druckman, «Framing Theory,» *Annual Review of Political Science*, vol. 10 (2007), p. 106.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

## ثانياً: الإعلام الجديد وتفعيل الممارسة السياسية اتجاهات عالمية

لوسائل الاتصال الحديثة آثار في الحقل السياسي بصفة عامة، وفي الممارسة السياسية بصفة خاصة. ولعل من أهم مؤشرات تلك الآثار دور تلك الوسائل في تقوية النشاط (Activistes)، وفي إدخال الانتخاب الإلكتروني وما يترتب عليهما من تفعيل للمشاركة السياسية للأفراد.

### ١ - النشاط الإلكتروني

سنحاول أن نرى حجم انتشار النشاط الإلكترونيين قبل تحليل دور تكنولوجيا الإعلام الجديد في تفعيل أدوارها.

#### أ - انتشار الظاهرة

ساهم ازدياد استعمال وسائل الاتصال الجديدة في تغيير جوهر العملية السياسية بصفة عامة، والتعبئة الاجتماعية بصفة خاصة<sup>(١٩)</sup>، وصار فاعلو الحقل السياسي أكثر ميلاً إلى استخدامها في إطار المهام التي يضطلعون بها، وداخل الأجندة المتحركة في تحركاتهم: الاتحادات، الأحزاب السياسية، الحكومات<sup>(٢٠)</sup>. هذا الاتجاه العميق مس أيضاً مؤسسات المجتمع المدني، التي عرفت ظهور ما يُعرف بالنضال الإلكتروني (E-activism, Electronic advocacy, Cyberactivism, E-campaigning)، الذي يشير إلى استعمال تكنولوجيا الاتصال، مثل

(١٩) من الأمثلة التي يمكن الإشارة إليها في هذا الخصوص ما وقع في إسبانيا؛ فقد شكّلت المظاهرات التي عرفتتها إسبانيا في ١٣ آذار/ مارس ٢٠٠٤، عقب التفجيرات في مدريد، تحدياً مهماً للبحث في مجال الاتصال السياسي. فقد لجأ الأفراد، وخصوصاً في المعارضة، لأول مرة في تاريخ إسبانيا، إلى تكنولوجيا الاتصال من أجل تنظيم العصيان المدني السلمي، متهمين الحكومة بالكذب حول تنفيذ تلك التفجيرات، وهو الأمر الذي يُبرز رغبة المواطنين القوية في المشاركة في السيرة السياسية آنذاك بواسطة آليات غير تقليدية للمشاركة. انظر: Oscar García Luengo, «E-Activism: New Media and Political Participation in Europe», *Confines* (2-4 August-December 2006), pp.66-67. p. 59.

ويعَد ما حصل في إيران نموذجاً آخر لاستخدام تكنولوجيا الإعلام الجديد. فبعد الانتخابات الرئاسية الأخيرة وانطلاق الاحتجاجات، سرت المشاهد الملتقطة بواسطة هواتف المحتجين النقلة وكاميراتهم. وقد تضمنت تلك المشاهد المتظاهرين والجرحى، وحتى موت إحدى الإيرانيات، وأيضاً تدخلات رجال الأمن الإيرانيين، وعرفت انتقلاً سريعاً على الإنترنت وبين الحواسيب والهواتف النقلة. انظر أيضاً: Brett Solomon, «Iran: Comment les images de la révolution sont diffusées», *OWNI* (4 janvier 2010), < <http://owni.fr/2010/01/04/iran-comment-les-images-de-la-revolution-sont-diffusees/> > .

W. Lance Bennett, «New Media Power: The Internet and Global Activism», in: Nick (٢٠) Couldry and James Curran, eds., *Contesting Media Power: Alternative Media in a Networked World*, Critical Media Studies: Institutions, Politics, and Culture (London: Rowman and Littlefield Publishers, 2003), p. 15, < <http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.101.3969&rep=rep1&type=pdf> > .

الرسائل الإلكترونية والمواقع والـ «بودكاستينغ» (podcasting)، من أجل مختلف أشكال النضال، وذلك بضمان تواصل سريع بين مجموعات المواطنين، وتوزيع الرسائل إلى جمهور واسع، وجمع الأموال على شبكة الإنترنت، والضغط وبناء مجموعات أهلية ومنظمات<sup>(٢١)</sup>.

أشار دوغلاس شيلر في كتابه *New Community Networks* إلى أن حوالي ٥٠٠,٠٠٠ من الأفراد يستعملون بانتظام مئات من شبكات الجماعات على الإنترنت في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم. إنهم يتوحدون في مختلف المؤسسات المحلية (مثل المدارس، الجامعات، الوكالات الحكومية المحلية، المكتبات والمنظمات التي لا تتبغى الربح) في شكل موارد مجتمع واحد توظف من أجل الاضطلاع بوظائف متعددة، من تمكين الأفراد من التواصل بينهم، عبر الرسائل الإلكترونية، إلى تشجيع انخراطهم في القرارات المحلية وتنمية الفرص الاقتصادية المفتوحة أمامهم<sup>(٢٢)</sup>. إن ذلك يحصل من خلال الآليات التالية:

- الربط بين أعضاء جماعة معيّنة، وتشجيع النقاش، وحل المشاكل المشتركة.
- تنظيم المعلومات ووسائل الاتصال ذات الأهمية الخاصة لحاجات الجماعات، ولمواجهة مشاكلها بناء على جدول زمني.
- مشاركة قاعدة عريضة من المواطنين، بمن فيهم نشطاء المجتمع، والقادة، والجهات الراعية لأنشطتهم، ومقدمو الخدمات، وذلك بشكل مستمر.
- العمل على إدماج جميع أعضاء الجماعة، وعلى الخصوص ذوي الدخل المنخفضة، والذين يعانون إعاقات أو محدودية في الحركة.
- توفير الخدمات الأساسية بتكاليف عادلة ومعقولة، أو على أساسي مجاني.
- دعم الثقافة المحلية<sup>(٢٣)</sup>.

إن ما سبق لا يعني أن الجماعات على شبكة الإنترنت هي جماعات غير موجودة في الواقع، بل موجودة وبحاجة إلى أن يلتقي أفرادها وجهاً لوجه من أجل تمتين الروابط بينهم، وإن تكن الإنترنت هي أحد الفضاءات المهمة لذلك<sup>(٢٤)</sup>.

(٢١) «Internet Activism,» Academic Dictionaries and Encyclopedias (2010), <http://en. academic.ru/dic.nsf/enwiki/417469> .

(٢٢) Scott London, «Civic Networks: Building Community on the Net,» in: Rolf Norgaard, *Composing Knowledge: Readings for College Writers* ([n. p.]: Bedford St. Martin's, 2006), p. 656.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٥٦.

(٢٤) تمثل منظمة العفو الدولية نموذجاً مهماً لاستخدام تكنولوجيا الإعلام الجديد؛ فقد صار البريد الإلكتروني الأداة الأكثر حيوية لتعزيز الاتصالات واتخاذ إجراءات سريعة بين أعضاء المنظمة والشبكات الإقليمية التابعة لها. ففي معظم المواقع التي توجد فيها انتهاكات حقوق الإنسان، يوجد عداء اتجاه نشطاء حقوق الإنسان، الذين يمكن أن يواجهوا ردود الفعل على عملهم في مجال حقوق الإنسان. وعليه، أصبح هؤلاء يملكون القدرة، باستخدام البريد الإلكتروني، على إبلاغها عن أي مخاطر تواجههم. وعقب ذلك، يمكن مسؤولي المنظمة أن يعمموا الخبر على المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان العالمية والمحلية بهدف الضغط على الجهات المعنية من أجل تفادي =

لقد تميّزت الفترة الأخيرة بتطورٍ لافت للنظر للنضال الدولي، الذي يتجاوز حدود الدولة الواحدة، من قبيل المظاهرات الحاشدة، والحملات الدعائية المتواصلة ضد الشركات العالمية ووكالات التنمية، وابتكار نظم المساءلة العامة لسلوك الشركات والمؤسسات الحكومية. وهي الأنشطة التي اقترنت بوسائل الاتصال الحديثة، وساهمت الإنترنت بدرجة كبيرة في تحفيزها عبر خفض التكلفة وضمان السرعة. إن الإنترنت

**تحوّل وسائل الاتصال الحديثة  
الأفراد والمنظمات فرصة القيام  
بأنشطة متعددة، وإمكانية  
تخفيض تكلفة نشر الأخبار،  
وجعلهم في مركز مهم في  
مواجهة مؤسسات الإعلام  
التقليدية.**

والفيديو الرقمي والهواتف الخلوية وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة تحوّل الأفراد إمكانية تجاوز إكراهات الوقت والجغرافيا، وتنظيم أنشطة سياسية يصعب تصوّرها من دون تلك الوسائل. وعندما تكون الجماعات أو شبكات النشاط غير مراقبة بواسطة مراكز منظمة، تصير الإنترنت عبارة عن فضاء عام مفتوح يتم فيه تبادل الأفكار وبرامج الاحتجاج بسهولة نسبية، وبسرعة وفي مجال عالمي، من دون أن يركز عمل النشاط على قنوات الاتصال التقليدية، من إعلام أو تلغراف<sup>(٢٥)</sup>.

في هذا الإطار، يذهب أحد الباحثين إلى القول إنه عندما يتعلق الأمر بشبكات غير مركزية وموزعة، يكون من الصعب على أية نخبة مراقبة الأنشطة على الإنترنت؛ فهي تسمح لعملية الاتصال بأن تتم من الفرد إلى الفرد، ومنه إلى المجموعات وحتى من المجموعات إلى المجموعات. فطبيعة التكنولوجيا والمظاهر الاقتصادية تمكّن من القيام بعملية النشر بتكلفة منخفضة نسبياً ومن دون وساطة دار للنشر<sup>(٢٦)</sup>.

في إطار سيّورة وسائل الاتصال الحديثة هذه واستعمالها من قبل الأفراد والجماعات،

= حصول تلك المخاطر. من جهة أخرى، سمحت تكنولوجيا شبكة الإنترنت لمنظمة العفو الدولية بتطوير برنامج نشر أخبارها، فحوالي ثلاثة آلاف من الملفات -المتعلقة بالتقارير الإخبارية والصور أو الفيديو وحملات الأخبار، دعوات اتخاذ إجراءات عاجلة- تُرسل يومياً، وفي الوقت الفعلي، إلى محطات عمل الموظفين ومواقع البيانات على الشبكة. كما أن المكاتب الإقليمية للمنظمة تحصل بشكل مباشر على الموارد التي تحتاج إليها في عملها. وعلاوة على ذلك، يُسمح لهذه المكاتب بنشر أخبار إقليمية معينة، والبيانات والآراء على نطاق واسع جداً. لمزيد من التجارب انظر: Leah Blaney, «The Historical Development of Activism and Concurrent Technologies with the Arrival of Expansive, Nuanced Cyberactivism,» p. 41, <http://www.leahblaney.com/senior-project/cyberactivism-2.pdf>.

Bennett, «New Media Power: The Internet and Global Activism,» p. 7-8.

(٢٥)

(٢٦) يتعلّق الأمر بريدن (Redden)، الذي يؤكد أن الشبكة رخيصة لا بشكل مطلق، وإنما بارتباط مع فعالية توزيع الرسائل. فمن الواضح أنها ليست علاجاً شافياً يضمن حرية التعبير للجميع. وإذا كانت الشبكة في غير متناول جميع من يملكون شيئاً ليقولوه، فإنها تزيد بدرجة كبيرة من أعداد الأفراد الذين يمكن أن يوفرُوا الوقت والمال لتوزيع المعلومات على الصعيد المحلي والعالمي لأعداد كبيرة من الناس الآخرين. وباختصار، تتيح الشبكة للأفراد والجماعات المحلية الحد من تأثير الفجوة بينها وبين المنظمات الأكثر ثراء.

ظهرت البرمجيات الاجتماعية<sup>(٢٧)</sup>، التي ساهمت في إحداث ثورة في مجال الإنترنت التقليدية بسبب ما تمنحه للأفراد والجماعات من مجال للمشاركة والتفاعل، وذلك باستخدام بنية تحتية عالمية من أجل خلق شبكات تشكّل جزءاً مهماً في النشاط السياسي والمشاركة السياسية.

ومع الإقرار بهذه الأدوار المتزايدة لوسائل الاتصال الحديثة، وبتوسع استخدامها من قبل النشطاء، أكانوا محليين أم وطنيين أم دوليين، فالسؤال المشروع الذي يفرض نفسه يتعلق بتقييم أثر التعرض لوسائل الاتصال الحديثة في التعبئة والانخراط؟

## ب - تكنولوجيا المعرفة والاتصال وفعالية النشطاء

يندرج النقاش حول دور وسائل الإعلام في إطار البحث حول الاتصال السياسي بصفة عامة، وأثر تلك الوسائل في التعبئة والمشاركة السياسية. ومن بين النظريات المتداولة في هذا الخصوص يمكن الإشارة إلى النظريتين التاليتين:

### (١) نظريات لانغ

ترجع هذه النظريات إلى كورت لانغ (K. Lang) وغلاديس لانغ (G. Lang) اللذين يقولان بوجود ارتباط بين انتشار شبكات الأخبار وتوسع مشاعر الانقطاع عن العملية السياسية، ذلك بأن طريقة تغطية الأخبار التلفزيونية للأحداث يمكن أن تؤثر في التوجهات الأساسية للناخبين اتجاه المؤسسات العامة. وهما يريان أن تلك التغطية تزيد من حدة العناصر المتضاربة للعملية السياسية التي تغذي بدورها سخرية الأفراد منها على نحو عام<sup>(٢٨)</sup>. وفي الاتجاه نفسه، يؤكد ميشال روبنسون أن وسائل الإعلام، من قبيل التلفزة والجرائد، كمصدر للمعلومات السياسية تتسبب في العزوف السياسي، وذلك بفعل العوامل التالية:

– الحجم الكبير وغير المتجانس لمشاهدي الأخبار التلفزيونية.

– التصورات العامة لشبكات الأخبار.

– الطابع التفسيري لتغطية الأخبار التي يقدمها التلفزيون.

(٢٧) تُعرف البرمجيات الاجتماعية بأنها مجموع الأدوات التي تمكّن شبكات الأفراد والجماعات من النشوء والظهور بسرعة. وهي تتضمن العديد من وسائل الإعلام والآليات والتطبيقات والبرمجيات التي تقوّي جهود الأفراد، وتمكّنهم من الاتصال بعضهم ببعض، وتوفّر قنوات ربط المجموعات والبيانات الوصفية حول ديناميكية الشبكة والتدفقات والحركة التي تعرفها. وهي بالتالي تعطي الشبكات الاجتماعية إمكانية النشوء وقياس درجة انتشارها. ومن أمثلة تطبيقات تلك البرمجيات الـ «فيسبوك» الذي نشأ عام ٢٠٠٤ وصار أكبر موقع اجتماعي عبر العالم.

Christina Neumayer and Celina Raffl, «Facebook for Global Protest: The Potential and Limits of Social Software for Grassroots Activism,» Prato CIRN 2008 Community Informatics Conference: ICTs for Social Inclusion: What is the Reality?, Refereed Paper (27-30 October 2008), <http://cnr.infotech.monash.edu/assets/docs/prato2008papers/raffl.pdf>.

Luengo, «E-Activism: New Media and Political Participation in Europe,» p. 60,

(٢٨)

– تركيز التقارير الإخبارية على العناصر السلبية.

– تركيز شبكات الأخبار على المواضيع المرتبطة بالصراعات والعنف.

وقد ترسخ هذا الاتجاه النظري حول وسائل الإعلام في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، واتخذ منحى خاصاً في السياق السياسي لأمريكا الشمالية: فأخبار التلفزة في الولايات المتحدة تقدّم الحياة السياسية بطريقة أكثر سلبية من تلك التي تتضمنها الجرائد، ولهذا يمكن القول إن العزوف السياسي يزداد بازدياد الأخبار السيئة في قصص السياسيين والمؤسسات السياسية<sup>(٢٩)</sup>.

وتتعيّن الإشارة إلى أن هذه النظرية تعرضت لانتقادات تتأسس على التأثير الكبير الذي يمارسه الإعلام على مختلف مناحي الحياة؛ انتقادات أدت إلى ظهور نظريات أخرى في مجال التأثير السياسي للإعلام، من بينها نظريات التعبئة السياسية التي سنتطرق إليها في الفقرة الموالية.

## (٢) نظريات التعبئة السياسية

على خلاف الاتجاهات السابقة، تشدّد هذه النظريات على التأثير الإيجابي لوسائل الإعلام في المحافظة على المشاركة الديمقراطية وتشجيعها. وبصفة خاصة، يرى أنصارها ضرورة التفرقة بعناية بين الآثار السلبية والآثار الإيجابية لمختلف وسائل الإعلام، للرسائل والمشاهدين<sup>(٣٠)</sup>. فعلى سبيل المثال، تذهب بيبا نوريس (P. Nourris) إلى أن المستهلكين المنتظمين لأخبار التلفزة والمعتادين قراءة الصحافة السياسية، وبغض النظر عن مدى التغطية التي تقدمها تلك الرسائل، هم أكثر ميلاً إلى الاهتمام والاطلاع والانخراط في الحياة السياسية. وعلى العكس من ذلك، يعدّ المواطنون الذين يتعرضون لمحتويات الإثارة التي تتضمنها وسائل الإعلام أكثر ميلاً إلى اكتساب سلوكات العزوف والسخرية من الأحداث السياسية.

وفي ما يتعلق بوسائل الاتصال الحديثة، لا بد من الإشارة إلى أنها تملك دوراً مهماً في الرفع من قدرات المنظمات والهيئات، وبصفة عامة النشاط، خاصة أولئك الذين تجاوزوا عتبة الهوة الرقمية أو الأمية الرقمية؛ فوسائل الاتصال الجديدة، ومن ضمنها تكنولوجيا الشبكات في الإنترنت، تخوّل الأفراد والمنظمات فرصة القيام بأنشطة متعددة، كإنشاء المدونات أو الانخراط في الشبكات الاجتماعية، وتخوّل مستعمليها إمكانية تخفيض تكلفة نشر الأخبار والأعمال، وتبوّئ «المواطنين الصحفيين» مركزاً مهماً في مواجهة مؤسسات الإعلام التقليدية القوية.

وفي المجال المدني، تعطي الشبكات الاجتماعية للمنظمات الفرصة للتعبئة السريعة للأفراد حول قضايا محددة وتجاوز إكراهات المجال، ما دام أن مدى تلك التعبئة يمكن أن يتجاوز حدود الدولة الواحدة، ويتوجه إلى أفراد منتسبين إلى فضاءات وطنية مختلفة.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٦١.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٦١.

ومن جهة أخرى تقدم الحملات الانتخابية مجالاً آخر يتزايد فيه استعمال تقنيات الاتصال الجديدة بشكل يسمح بالقول إننا أمام إمكانيات جديدة لتفعيل الممارسة السياسية؛ فحملات النشاط في الدول الغربية، التي تستخدم المدونات والشبكات الاجتماعية في الدعاية على الإنترنت وتوظف المواقع الإلكترونية لجمع الأموال، تجسّد أشكالاً جديدة للانخراط الجماهيري في السياسة؛ انخراط يتميز بالتوجيه الذاتي والعفوية كما يقع أحياناً خارج الهياكل الرسمية للفاعلين<sup>(٣١)</sup>.

**سهولة القنوات المتاحة ووفرة المعلومات قد تؤديان إلى نشوء وضعيات يكون المواطن فيها غارقاً في بحر من «الضجيج». كما أن النشر المتسرع للمعلومات يجعل الأفراد الموجهة إليهم عرضة لإساءة فهمها.**

في دراسة لأسباب النشاط السياسي لدى مواطني ٢٠ دولة من أوروبا الشمالية والجنوبية والشرقية، خلص أوسكار لوينجو (O. Luengo) إلى أن الإنترنت هي أكثر القنوات تأثيراً في مستوى النشاط السياسي للأفراد. وبالاستناد إلى متوسط المعاملات كمرجع للمقارنة، حصلت وسائل الاتصال الجديدة على معامل (١١٥)، بينما ينخفض ذلك المتوسط في حالة التلفزة إلى (٠,٧٣)،

والصحف (٠,٤٤) (انظر الجدول الملحق). وعلى مستوى البلدان التي تظهر دلالة إحصائية، تؤكد هذه النتائج التي يمكن الإشارة إليها وفق ما يلي:

في حالة التلفزيون، لا تظهر في خمسة بلدان من مجموع ٢٠ بلداً أية دلالة إحصائية، بينما يرتفع العدد إلى عشرة بلدان في حالة الصحف. أما في حالة الإنترنت، فتمة بلدان اثنان فقط يظهر فيهما أن التعرض لها لا يتصل إحصائياً بالنشاط أو بالفاعلية (activism)، بمعنى أن ١٨ بلداً أوروبياً تؤثر على وجود دلالة إحصائية لتأثير الإنترنت في النشاط السياسي<sup>(٣٢)</sup>.

نشير أخيراً إلى أن النشاط يمكن أن يكونوا ضحية مجهودات التعبئة التي وقفت وراء نجاحهم، وساهمت فيها الإنترنت مساهمة كبيرة. فكما ساعدت هذه الأخيرة على نموهم، فهي تزيد المسافة التي توجد بين تلك الحركات ومؤيديها، ذلك أن سهولة القنوات المتاحة ووفرة المعلومات قد تؤديان إلى نشوء وضعيات يكون المواطن فيها غارقاً في بحر من «الضجيج» الناتج من وجود أعداد كبيرة من الجماعات والقضايا<sup>(٣٣)</sup>. علاوة على ما سبق، يترتب على النشر المتسرع للمعلومات إلى سوء تقديرهما، وبالتالي إلى سوء فهمهما من قبل الأفراد الموجهة إليهم، بسبب اختلاف بيئاتهم، وهو أمر يزداد تفاقمًا كلما ازدادت المسافة التي تفصل عن مصادر المعلومات الأولية.

Rachel K. Gibson, «New Media and the Revitalisation of Politics,» *Representation*, vol. 45, (٣١) no. 3 (2009), p. 90.

Luengo, Ibid., p. 67.

(٣٢)

Blaney, «The Historical Development of Activism and Concurrent Technologies with the Arrival of Expansive, Nuanced Cyberactivism,» p. 67. (٣٣)

## ٢ - التصويت الإلكتروني

خلال السنوات الأخيرة، بدأ أن التصويت الإلكتروني يسترعي الاهتمام الكبير لمختلف الفعاليات: الحكومات، البرلمانات، الناخبين، الباحثين والمقاولات الصناعية. وقد تزايد الاهتمام ذلك بفعل ازدياد الاعتناء بقضايا الحكومة الإلكترونية، والديمقراطية الإلكترونية، والحكومة الإلكترونية... إلخ. من جهة، وبفعل الرغبة في تجاوز مشاكل الأنظمة الانتخابية المحلية، التي تفتقر بدرجة كبيرة إلى المرونة على مستوى الزمن المخصص للانتخاب وحضور الناخب في مراكز الاقتراع، وتحول في أحوال كثيرة دون قيام المواطنين بالإدلاء بأصواتهم، من جهة أخرى<sup>(٣٤)</sup>.

ويعرف هذا النوع من التصويت بأنه النظام الذي يخول الناخب إمكانية الإدلاء بصوته من خلال استعمال نظام إلكتروني عوض ورق الاقتراع؛ إذ بمجرد تسجيل الصوت الإلكتروني يتم تخزينه رقمياً ونقله من جهاز التصويت الإلكتروني إلى نظام عد الأصوات<sup>(٣٥)</sup>. ويمكن القول إن هناك نوعين من التصويت الإلكتروني:

- التصويت المراقب من جانب ممثل الحكومة وسلطات الانتخاب المستقلة، كجهاز التصويت الإلكتروني في مراكز الاقتراع أو المكاتب البلدية، أو في مقار البعثات الدبلوماسية أو القنصلية في الخارج.

- التصويت الإلكتروني الذي يمارسه الناخب من دون أن يكون مراقباً من قبل ممثلي السلطات الحكومية، كالتصويت بواسطة الحاسوب عبر الإنترنت (E-Voting)، أو عن طريق الهواتف النقالة (بواسطة الرسائل)، أو من خلال التلفزيون الرقمي، أو الأكشاك العامة التي تزود بأجهزة الحاسوب، أو بآلات التصويت التي يضغط المقترع على زر فيها للإدلاء بصوته سواء كان يحمل البطاقة الإلكترونية الذكية أو لا يحملها<sup>(٣٦)</sup>.

للتصويت الإلكتروني عدة إيجابيات، من بينها:

- تمكين الناخبين من الإدلاء بأصواتهم من مكان آخر غير مركز اقتراع الدائرة الانتخابية التي ينتمون إليها.

- تسهيل عملية إدلاء الناخبين بأصواتهم.

Thomas M. Buchsbaum, «E-Voting: International Developments and Lessons Learnt», (٣٤) paper presented at: Electronic Voting in Europe: Technology, Law, Politics and Society, Workshop of the ESF TED Programme Together with GI and OCG, in Schlo Hofen/Bregenz, Lake of Constance, Austria, 7-9 July 2004.

Kenneth Benoit, «Experience of Electronic Voting Overseas», *Second Report from* (٣٥) *Commission on Electronic Voting 2004*, The Irish Commission on Electronic Voting, p. 315, <http://www.cev.ie/htm/report/first\_report/pdf/Appendix%20J.pdf> .

Buchsbaum, Ibid., p. 32.

(٣٦)



- تسهيل المشاركة في الانتخابات والاستفتاءات لجميع من يملكون حق التصويت، وخصوصاً لمواطني الدولة الموجودين أو القاطنين في الخارج.

- زيادة فرص التصويت التي يملكها الناخبون ذوو الإعاقة، أو الذين يجدون صعوبة في الحضور إلى مراكز الاقتراع، أو في استعمال الأجهزة الموجودة في هذه المراكز.

- زيادة الإقبال على التصويت والمشاركة في الانتخابات، من خلال توفير قنوات إضافية للتصويت، ومضاعفة جودة الخدمات المقدّمة إلى المواطنين في هذا المجال.

- جعل التصويت يتماشى مع التطوّرات الجديدة التي تعرفها المجتمعات، والمتمثلة في زيادة استعمال التكنولوجيا الجديدة كوسيلة للاتصال وللانخراط المدني في تحقيق الديمقراطية.

- تقليص مدة تنظيم عمليات الاقتراع والاستفتاء، وخفض تكلفته.

- إعلان نتائج الاقتراع بسرعة، وزيادة درجة الوثوق بها<sup>(٣٧)</sup>.

وإذا كانت هذه الاعتبارات هي التي تقف وراء زيادة الاهتمام بالتصويت الإلكتروني، سواء على مستوى أصحاب القرار أو مؤسسات المجتمع المدني أو على المستوى الدراسات الأكاديمية، فمن المهم معرفة مدى تأثيرها في المشاركة في اتجاه رفع نسبته.

**يشكّل الإعلام الجديد تحدياً حقيقياً للأنظمة غير الديمقراطية التي تسعى إلى فرض رقابتها على استعمالاته المتصاعدة؛ فهو يتيح للمواطنين تداول انتقادات للأنظمة، وبث صور حية لممارسات سلطاتها الأمنية القمعية ضد المعارضين.**

في ما يتعلق بدور التصويت الإلكتروني في تحفيز الانتخابات، ورغم الحوافز التي يطرحها بالنسبة إلى الناخب، يصعب تقديم جواب يصلح لجميع تجارب استخدامه في الانتخابات، سواء كانت محلية أو جهوية أو وطنية، وعلى جميع الدول (ديمقراطية، غير ديمقراطية، في مراحل الانتقال... إلخ). وفي جميع الظروف (فترات الرخاء الاقتصادي، الركود، الأزمات... إلخ)، خاصة أن المشاركة الانتخابية ذاتها تتأثر بمتغيرات معقّدة، عديدة ومتداخلة. ولذلك، نقترح أن يكون المدخل إلى ملامسة علاقة التصويت الإلكتروني بالمشاركة البدء باستعراض بعض التجارب الانتخابية التي اعتمدته:

- أظهرت الدراسة التي قامت بها نوريس وتناولت فيها الانتخابات المحلية، التي جرت في إنكلترا في أيار/مايو ٢٠٠٣، انعدام وجود أرضية صلبة تسمح بدعم الاعتقاد بأن التصويت الإلكتروني من مكان العمل أو المنزل يمكن أن يحسّن نسبة المشاركة. ففي هذه المحطة الانتخابية، اعتمدت إنكلترا ٥٩ دائرة انتخابية تجريبية متاحة لستة ملايين ونصف مليون مواطن (حوالي ١٤ بالمئة من الناخبين الإنكليز)، وسُمح فيها للمواطنين بالإدلاء بأصواتهم عن

طريق الإنترنت وهم في منازلهم أو في أماكن عامة، أو عن طريق التلفزيون الرقمي التفاعلي، أو بواسطة رسائل الهواتف المحمولة ووزر الهاتف، فيما طبّقت باقي الدوائر الانتخابية التصويت العادي في مراكز الاقتراع المحلية<sup>(٣٨)</sup>.

وخلصت الدراسة إلى أن نتائج الانتخابات واستطلاعات الرأي التي أجريت عقبها تؤكد أن استعمال جميع تسهيلات التصويت البريدية أدى إلى نسبة مشاركة بلغت ٥٠ بالمئة مقابل ٣٥ بالمئة في دوائر انتخابية لم تطبّق فيها تلك التسهيلات<sup>(٣٩)</sup>. أما بالنسبة إلى استخدام التصويت الإلكتروني، فيلاحظ، حسب الجدول الموالي، أن نسبة ذلك الاستخدام بلغت ٨,٨ بالمئة من المصوتين في ٥٩ دائرة انتخابية، ولم تسجّل إلا ثلاث دوائر انتخابية منها ارتفاعاً في نسبة المشاركة الانتخابية: فال غويال (١٢,٨ بالمئة)، وشروزبري وأتشام (١١,٣ بالمئة)، وسومرست الجنوبية (٨,٩ بالمئة). أما باقي الدوائر الانتخابية، سجّل حوالى الثلثين منها انخفاضاً في نسبة المشاركة.

وهكذا، فرغم أن التصويت الإلكتروني يساهم في توسيع الخيارات المفتوحة أمام المواطنين في مجال التصويت، فإنه لم يكن فاعلاً في تحسين نسب المشاركة مقارنةً باعتماد وسائل التصويت عن بُعد البريدية، وهو الأمر الذي يفرض على البحث الاجتماعي استكشاف عوامل محدوديته في حالة إنكلترا.

- في سويسرا، وقبل تطبيق التصويت الإلكتروني، تضاربت آراء الخبراء حول أثر هذا الأخير في المشاركة. ويمكن التمييز بين اتجاهين داخل تلك الآراء؛ فمركز الأبحاث والتوثيق حول الديمقراطية ذكر أن المشاركة يمكن أن ترتفع، بينما خلصت دراسة أخرى إلى أن التصويت الإلكتروني يمكن أن يرفع نسبة المشاركة بأقل من ٢ بالمئة<sup>(٤٠)</sup>، وترى ناديا بروم (N. Braum) أن المعطيات المجتمعية حول استعمال التصويت الإلكتروني في ثلاث عمليات استفتاء بسويسرا تدفع إلى الاستنتاج بأن هذا النوع من التصويت يملك إمكانية ارتفاع عدد الناخبين المشاركين في الانتخابات، رغم أن تلك المعطيات غير كافية لتحديد مدى الارتفاع. ومن جهة أخرى، ترى الباحثة أن في الحالات التي يكون للناخب إمكانية استعمال القنوات الأخرى للتصويت عن بُعد يلاحظ تفضيل الأفراد لهذه الأخيرة عوضاً عن التصويت الإلكتروني<sup>(٤١)</sup>.

Norris, «Will New Technology Boost Turnout?: Evaluating Experiments in E-Voting V. All-Postal Voting Facilities in UK Local Elections,» p. 2.

Pippa Norris, «UNESCO World Report Building Knowledge Societies: The Renewal of Democratic Practices in Knowledge Societies,» UNESCO (2004), p. 19, < <http://www.hks.harvard.edu/fs/pnorris/Acrobat/UNESCO%20Report%20Knowledge%20Societies.pdf> > .

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٩.

Nadja Braun, «E-Voting: Switzerland's Projects and their Legal Framework,» in: Electronic Voting in Europe: Technology, Law, Politics and Society, Workshop of the ESF TED Programme Together with GI and OCG, in Schlo Hofen/Bregenz, Lake of Constance, Austria, 7-9 July 2004, p. 48.

النسبة المئوية من ملاحظات المشاركة باستخدام قنرات التصويت الإلكترونية	النسبة المئوية من المصوتين المستعملين لقنرات التصويت الإلكترونية	أعداد الأصوات المستعملة قنرات التصويت الإلكترونية	النسبة المئوية من التغير في المشاركة من خلال قنرات التصويت الأخيرة	النسبة المئوية من المشاركة في ٢٠٠٣ أيار / مايو	مجموع الأصوات المعبر عنها	نوع الانتخابات (كلها - كلها)	النسبة المئوية من نسبة المشاركة في آخر انتخابات مقارنته	عام آخر انتخابات مقارنته	اسم السلطة
٢٣,٨	١٠	٩,٧٥٢	١٢,٨	٤٣,٦	٤٠,٩٠٤	كل	٢٠,٨	١٩٩٩	قال غويال
(١) ١٩,٠	١٠	٤,٠٩٠	١١,٣	٥٤,٥	٢٢,٠٣٩	ثلث	٤٢,٢	٢٠٠٢	شروذبوردي وأنشام
١٥,٨	٧	٨,٤٢٨	٨,٩	٤٦,٩	٥٣,٣١١	كل	٢٨,٠	١٩٩٩	سومرست الجنوبية
				٤٣,٤		ثلث	٢٨,١	٢٠٠٢	سانت البانز
			١,٩	٣٠,٩	٢٨,٣١٧	ثلث	٢٩,٠	٢٠٠٢	بارينغستوك ودين
١٠,٧	٤	٣,٤٤٢	٠,٥	٣٥,٨	٣٣,٨٦٦	ثلث	٢٥,٣	٢٠٠٢	فورويتش
٣٧,٠	١٢	٢٠,٨٤٥	٠,٢ -	٢٩,٥	١١٠,٩٨٨	ثلث	٢٩,٧	٢٠٠٢	شيفيلد
٢٥,٠	٧	١٠,١٨٩	١,٤ -	٢٩,٨	٤٠,٨١٢	ثلث	٣١,٢	٢٠٠٢	سوينغتون
٢٩,١	١٠	٦,٦٩٩	١,٥ -	٢٤,٠	٢٢,٤٨٢	ثلث	٢٥,٥	٢٠٠٢	تشيسستر
٩٥,٠	٢٧	١٤,٦٨٣	١,٦ -	٢٨,٤	١٥,٤٣١	ثلث	٢٠,٠	٢٠٠٠	إينغ فورست
١٥,٠	٦	٢,٧٦٠	٢,٧ -	٣١,٠	١٨,٣٤٥	ثلث	٢٤,٧	٢٠٠٢	روشمور
١٥,٠	٥	٣,٣٧٤	٢,٩ -	٢٨,٣	١٧,٦٦٢	كل	٢٢,٢	١٩٩٩	كيرير
٢٠,٤	٨	٤,١٧٦	٥,٩ -	٣٦,٧	٢٠,٤٤١	ثلث	٤٢,٦	٢٠٠٢	ستراود
٢١,٧	٩	٦,١٨٣	٧,١ -	٣١,٩	٢٨,٥١٦	ثلث	٢٩,٠	٢٠٠٢	إيسويتش
(١) ١١,٥	٥	٦,٠٠٨	٨,٦ -	٤٦,١	٥٢,٣٦٢	ثلث	٥٤,٧	٢٠٠٢	جنوب تينيسايد
١٩,٠	٧	٤,١٧٦	٩,٠ -	٢٥,٦	٢١,٦٦٩	ثلث	٤٤,٦	٢٠٠٢	سترلتورد أون آفون
(١) ٩,٠	٦	٢,٠٧٢	١١,٦ -	٤٩,٩	٢٢,٩٠٠	ثلث	٦١,٥	٢٠٠٢	تشمورلي
٢٤,٥	٨,٨	٢٢,٢٧٠	٠,٨ -	٣٧,٤			٣٨,٢		المتوسط

- وفي ألمانيا أشار استطلاع للرأي قامت به جمعية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ووسائل الإعلام الجديدة (BITKOM) إلى أن تطبيق التصويت على الإنترنت خلال انتخاب البرلمان الماضي عزّز مشاركة الناخبين بنسبة ٦ بالمئة. وأشار الاستطلاع أيضاً إلى أن ٤٧ بالمئة من الألمان يفكرون في التعبير عن أصواتهم إلكترونياً خلال الانتخابات المقبلة، وترتفع النسبة لدى فئة الشباب لتصل إلى ٥٨ بالمئة<sup>(٤٢)</sup>. وشدّد الاستطلاع على زيادة الاهتمام بالتصويت على الإنترنت، وهو أمر يمكن أن يساهم في النقاش الجاري في ألمانيا حول إدماج التصويت على الإنترنت في قانون الانتخاب الألماني.

إن ما سبق يدفع إلى القول إن تكنولوجيا المعرفة والاتصال لا تساهم في رفع نسبة المشاركة بطريقة جذرية، خلافاً للأمر مع النشاط، وإن كان يلاحظ نزوع عدد من الناخبين، وخصوصاً فئة الشباب، إلى اعتمادها، وهو ما يرفع بشكل طفيف نسب المشاركة. وتجاوب الانتخاب الإلكترونية المستقبلية هي التي يمكنها أن تبرز التوجهات العميقة في هذا المجال، خاصة أن غالبية تطبيقات التصويت الإلكتروني التي حصلت في العالم لم تكن إلا بصفة تجريبية، ولم تشمل جميع الدوائر الانتخابية.

### ثالثاً: الإعلام الجديد وتفعيل الممارسة السياسية في الوطن العربي

إن الحديث عن تكنولوجيا المعرفة والاتصال في سياق الوطن العربي لا ينبع من دافع التقليد العلمي أو الترف الفكري، خاصة في ظل انتشار دراسة آثار تلك التكنولوجيا في الدول الأوروبية وأمريكا اللاتينية، بل وأيضاً في عدد من الدول الآسيوية، كالصين... إلخ، وإنما مرده إلى محاولة رصد آثار اتجاهات عامة تخترق المجتمعات كلها بلا استثناء، ومن ضمنها المجتمعات العربية. وعلى المستوى النظري، يشير عدد من الكتاب<sup>(٤٣)</sup> إلى أن الإعلام الجديد يشكّل تحدياً حقيقياً للأنظمة غير الديمقراطية التي تسعى إلى فرض رقابتها على استعمالاته المتصاعدة.

فمع انتشار استعمال وسائل الاتصال الحديثة في البلدان العربية، ازداد اللجوء إليها كأداة للتعبئة، كما تعدّ أداة مهمة في زيادة وعي الأفراد وتوسيع آفاقهم، خاصة في ظل ظهور فاعلين جدد («المدونين»)، وبداية تشكّل فضاء عام جديد («الشبكة الإلكترونية»). وتتأطر هذه الاتجاهات بدرجة انتشار تقنيات الاتصال الجديدة في المجتمعات العربية وبطبيعة أنظمتها السياسية، وما يطرحه ذلك من سؤال الحرية. وعليه، سننتقل إلى الإمكانيات التي توفرها تلك التكنولوجيا على مستوى تفعيل الممارسة السياسية، وإلى محدّدات ذلك التفعيل.

PlaceNameCompetence Center for Electronic Voting and Participation, Pippa Nourris, (٤٢)

«Democratic Divide?: The Impact of the Internet on Parliaments Worldwide», in: Pippa Nourris, *Digital Divide: Civic Engagement, Information Poverty, and the Internet Worldwide*, Communication, Society and Politics (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2001), p. 3.

Mohammed Ibrahim, «Mobile Communication and Sociopolitical Change in the Arab (٤٣)

World», in: James E. Katz, *Handbook of Mobile Communication Studies* (New York: MIT Press, 2008), p. 261.

## ١ - الإعلام الجديد وسؤال التعبئة والمنتديات

بالنظر إلى أن البلدان العربية لم تنتهياً بعدُ لتطبيق الانتخاب الإلكتروني بسبب ضعف انتشار تكنولوجيا المعرفة والاتصال الجديدة في مجتمعاتها، وبسبب الاستثمارات الضخمة التي يتعين القيام بها من أجل تحقيق ذلك، سنحاول رصد دور تلك التكنولوجيا في تفعيل الممارسة السياسية، من خلال تحليل زيادة استعمالها في عملية التعبئة والسياسية أولاً، ثم عبر الوقوف على ظاهرة المنتديات السياسية في الوطن العربي، التي عرفت انتشاراً كبيراً خلال السنوات القليلة الماضية، ومن المحتمل أن تزداد أهميتها في السنوات المقبلة.

### أ - الإعلام الجديد وسؤال التعبئة

رغم حداثة هذه الوسائل في الوطن العربي، يلاحظ ازدياد كبير في انتشار استعمالها خلال السنوات القليلة الماضية، كأداة للتعبئة الاجتماعية والسياسية في عدد من البلدان العربية، من بينها المغرب ومصر والبحرين والكويت ولبنان<sup>(٤٤)</sup>. ويعدّ الصحفيون والمنظمات غير الحكومية مثلاً من أكثر الهيئات استعمالاً للإنترنت في عملهم المهني، كما أن لكثير من تلك المنظمات مواقع إلكترونية. إن أعضاء هذه الأخيرة يستعملون الرسائل الإلكترونية من أجل التواصل في ما بينهم، وكذا صفحات «الويب»، بهدف جلب المانحين.

وفي مجال التعبئة السياسية، يمكن الإشارة إلى الدور الذي قامت به في مصر أدوات الاتصال المتنقلة في الانتخابات البرلمانية والرئاسية لعام ٢٠٠٥؛ فقد استُخدمت الهواتف النقالة من أجل تعبئة وتقوية المجموعات الهامشية في لحظة سياسية حرجية، من زيادة البدائل في التحركات المتاحة للأفراد، وقوى المعارضة، ومنظمات المجتمع المدني. واكتسبت رسائل الهاتف القصيرة (SMS Greetings) منذ عام ٢٠٠٢ شعبية كبيرة، كما اتخذ العديد منها صبغة سياسية. فمن جهة، تضمنت تلك الرسائل انتقادات انصبت على التوجه نحو الإعداد لتوريث منصب رئاسة الجمهورية إلى نجل الرئيس، وكانت من جهة أخرى محاولة لنشر أصوات عدم الرضا السياسي<sup>(٤٥)</sup>.

وتلجأ الأحزاب المعارضة بدورها إلى الإنترنت والرسائل الإلكترونية من أجل تنظيم الاحتجاجات، بل إن النشطاء يقومون بالتقاط صور للعسكريين ورجال الشرطة وهم يقومون بضرب المحتجين، ثم يسربون الصور عبر الإنترنت لإطلاع الرأي العام الوطني والدولي عليها<sup>(٤٦)</sup>.

في ما يتعلق بدول الخليج، يشير ستيف كول (S. Coll) إلى أن نصوص رسائل الهاتف

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٤٥) Mark Glaser, «Blogs, SMS, E-mail: Egyptians Organize Protests as Elections Near», *Online Journalism Review* (August 2005), <http://www.ojr.org/ojr/stories/050830glaser/>.

(٤٦) Steve Coll, «In the Gulf, Dissidence Goes Digital Text Messaging Is New Tool of Political Underground», *Washington Post Foreign Service* (29 March 2005), p. A01.

النقال صارت قناة قوية لخطاب حر، حيث يستعمل المتظاهرون تلك الرسائل من أجل حشد الأتباع، ومراوغة السلطات، والالتحاق بسرعة بمواقع الاحتجاج. وهي القناة نفسها التي يستعملها المرشحون لدعوة أنصارهم إلى صناديق الاقتراع، ويستعملها النشطاء الذين لا يكشفون على هوياتهم للمسّ بخصومهم من خلال الشتائم والنكت والقصائد الفكاهية السياسية<sup>(٤٧)</sup>. ورغم التكاليف الباهظة لتعبئة الجماهير بواسطة رسائل الهاتف النقال (٤٠، ٠ دولار)، فإن النشطاء لا يترددون، بسبب ارتفاع الدخل الفردي بفضل عائدات البترول، في اللجوء إليها لتوجيه رسائلهم إلى الشرائح المستهدفة من المجتمع.

ولم تكن الرسائل النصية إلا الموجة الحديثة من سلسلة موجات استعمال تكنولوجيا الاتصال من قبل المعارضين خلال السنوات الـ ١٥ الماضية؛ إذ استعمل المنفيون السعوديون والناشطون الإسلاميون نشرات الفاكس خلال بداية منتصف التسعينيات من القرن الماضي، كما استعملوا القنوات التلفزيونية الفضائية التي غيّرت دورها المشهد الإعلامي خلال الفترة عينها، قبل أن تهيمن خلال السنوات الأخيرة الأقراص المدمجة وأقراص الفيديو الرقمية والإنترنت على قنوات نشر الأفكار السياسية في منطقة الخليج.

وكرد فعل على هذه التوجهات، قامت حكومات المنطقة بممارسة الرقابة على ترخيص أجهزة الفاكس، وإغلاق مواقع الإنترنت التي تعود إلى المعارضين، وتشجيع المستثمرين المساندين لها على شراء وإدارة القنوات الفضائية. إلا أنها واجهت أسئلة في ما يتعلق بمنع الرسائل النصية للهواتف، لأن من شأن ذلك أن يؤثر في نشاط شركات الاتصال التي ارتفعت أسهمها بارتفاع استخدام الهاتف والرسائل النصية: ٥٥ بالمئة من الكويتيين يمتلكون هواتف محمولة، في حين تصل النسبة إلى ثلث المواطنين في العربية السعودية<sup>(٤٨)</sup>.

يتبين ممّا سبق أن النشطاء ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية تعتمد على الهاتف (الهاتف النقال والرسائل النصية)، وعلى الفاكس والتواصل المباشر أكثر من اعتمادها على الإنترنت. أما العامل الأساسي الذي يفسر ذلك، فيتمثل في ضعف انتشار الإنترنت في المجتمع، بالإضافة إلى المجهودات والتكاليف المطلوبة لاستخدام موقع إلكتروني وصياغته في عملية التعبئة. هذا الاعتبار هو الذي يفسر أيضاً الحضور الضعيف للأحزاب السياسية العربية على الإنترنت<sup>(٤٩)</sup>. وهكذا، كانت الرسائل القصيرة في مصر أداة أساسية في تنظيم الاحتجاجات ضد غزو العراق في آذار/مارس ٢٠٠٣، كما كانت في مظاهرات ربيع ٢٠٠٥ في لبنان، عقب اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري. بل إن ممّا يشكّل دليلاً على إدراك الحكومات لأهمية هذه القناة التواصلية، أن الحكومة السودانية قامت بإرسال نص رسالة إلى جميع المشتركين في خدمة الهاتف، التي تهيمن على تقديمها، من أجل دعوتهم إلى

Ibid., p. A01.

(٤٧)

Albrecht Hofheinz, «The Internet in the Arab World: Playground for Political Liberalization», (٤٨)

International Politics and Society (IPG), no. 3 (2005), p. 78.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٨٨.

المشاركة في مسيرات الاحتجاج ضد قرار الأمم المتحدة الذي طلب من المحكمة الجنائية الدولية التحقيق في مزاعم ارتكاب مسؤولين سودانيين جرائم ضد الإنسانية في دارفور.

وتجدر الإشارة إلى أن الحركات الإسلامية في الوطن العربي كانت أكثر نجاحاً في تصميمها للإنترنت من مثيلتها العلمانية أو الليبرالية. وقد ابتدأ هذا الأمر مع الأيام الأولى للشبكة الإلكترونية العامة (١٩٩٣)، عندما لجأت جمعيات الطلبة المسلمين في أمريكا الشمالية وأوروبا إليها كأداة وسائطية لدعم الوعي الإسلامي العالمي<sup>(٥٠)</sup>. كما ظهرت المواقع الجهادية الإخبارية مع الغزو الأمريكي للعراق في آذار/مارس ٢٠٠٣ (يوميات الإسلام، وقبل ذلك مختصر الأخبار (٢٠٠٢) ... إلخ). ومن جهة أخرى تكثر مواقع الإسلاميين الجهاديين رغم تعرضهم للملاحقة، ولا تستطيع الوصول إلا إلى فئة قليلة من الأفراد تعمل على تتبع مساراتها من خلال نشراتها الإلكترونية.

في المغرب، عملت الحركات الإسلامية على الاستفادة من الإمكانيات التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة؛ فأنشأت جماعة العدل والإحسان سبعة مواقع إلكترونية<sup>(٥١)</sup>، في مقابل امتلاك حزب العدالة والتنمية خمسة مواقع<sup>(٥٢)</sup>. وقد جعلت المنظمات مواقعها أدوات للنشر والطباعة والتوزيع، يقوم الأعضاء من خلالها بتحميل مضامين تلك المواقع وطباعتها وتوزيعها (الكتب، المقالات، المنشورات... إلخ). كما أطلقت الشبكات الاجتماعية المنتمية إليها بغية التفكير في المضامين السالفة الذكر، والقيام بتوضيحها وتبسيطها للجمهور الأقل تعليماً<sup>(٥٣)</sup>. وتستخدم في السياق نفسه البريد الإلكتروني (e-mail) من أجل نشر المستندات بطريقة منتظمة. ويلاحظ على تلك التنظيمات بصفة عامة ضعف استعمالها للتواصل التفاعلي الإلكتروني بين أعضائها والمتعاطفين معها<sup>(٥٤)</sup>.

## ب - الإعلام الجديد والمنتديات

من خلال الاستفادة من تقنيات المدونات، يعمل عدد من الأفراد في الوطن العربي على إنتاج صحافتهم وأفكارهم. وكما هو الأمر في مناطق العالم الأخرى، ليس المدونون العرب صحفيين بالضرورة، ولا يشعرون بضرورة احترام قواعد قانون الصحافة أو المدونات الأخلاقية للصحفيين، فينشرون أعمالاً لا تخضع للرقابة المسبقة لسلطات الاتصال، وهم

(٥٠) هي: موقع عبد السلام ياسين؛ موقع العدل والإحسان؛ موقع رسالة الفتوة؛ موقع دار العدل والإحسان للنشر؛ موقع نادية ياسين، وموقع نشطاء العدل والإحسان.

(٥١) وهي: موقع منظمة التوحيد والإصلاح؛ موقع حزب العدالة والتنمية؛ موقع انتخابات العدالة والتنمية؛ موقع راشد المدور، وموقع التجديد.

Mohammed Ibahrine, «The Internet and Politics in Morocco: The Political Use of the Internet by Islam-oriented Political Movements,» (Thesis, University of Hamburg, 2005), p. 297.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

Naila Hamdy, «Arab Citizen Journalism in Action: Challenging Mainstream Media, Authorities and Media Laws,» *Westminster Papers in Communication and Culture*, vol. 6, no. 1 (2009), p. 92.

يُعرفون بالصحفيين المواطنين (Citizen Journalists)<sup>(٥٥)</sup>. هؤلاء المدوّنون يساهمون، من خلال استغلال ما تقدّمه التكنولوجيا الرقمية الشخصية بمضمون متجدد وقوي، في خلخلة احتكارات وسائل الإعلام التقليدية. وقد ظهرت المدوّنات بداية في المنطقة العربية باللغات الأجنبية<sup>(٥٦)</sup> (وخصوصاً الإنكليزية والفرنسية) مع حرب الخليج (٢٠٠٣)، إلا أن تحسّن تكنولوجيا الكتابة باللغة العربية ساهم في ظهور عدد كبير من المدوّنين بالعربية. وفي عام ٢٠٠٦، قُدّر عدد المدوّنات بالعربية بـ ٤٠,٠٠٠<sup>(٥٧)</sup> ومن المحتمل أن يزداد تأثيرها مع ازدياد عدد مستعملي الإنترنت في البلدان العربية. أما عدد المدوّنات السياسية في المنطقة، فيُقدّر بـ ٤٣٦٠ مدونة للأخبار السياسية في المنطقة<sup>(٥٨)</sup>.

وتبدو أهمية دراسة المدوّنات في أنها تمكّن من معرفة مدى تأثير الإنترنت، وبصفة عامة وسائل الإعلام الجديد (لأن المدوّنات قد تتضمن مقاطع فيديو رقمي، صوراً رقمية... إلخ.) على طريقة ممارسة السياسة. ففي الوطن العربي، تقدم المدوّنات الإلكترونية جزءاً من الخطاب العام، وتحليله يساعد على كشف جزء من الأسئلة المتعلقة بالمنطقة وحياتها السياسية، وتسمح أيضاً بفهم تجليات الخطاب على الإنترنت وفي العالم الواقعي للنشاط السياسي، والحركات الاجتماعية، والنزاعات، لأن المدوّنات يمكن أن تُستعمل أيضاً أداة لتعبئة الأفراد، بالإضافة إلى وظيفتها الإخبارية والتواصلية<sup>(٥٩)</sup>.

وبالاستناد إلى دراسة مركز بركمان، وهي بعنوان «خريطة المدوّنات العربية: السياسة، الثقافة والمعارضة»، يمكن القول إن الخطاب الذي تتضمنه المدوّنات العربية يتخذ الأبعاد التالية:

- في ما يتعلق بمواضيع السياسة الداخلية والخارجية، تعكس المدوّنات الواقع السياسي والاقتصادي على المستوى الوطني والمحلي لبلد المدوّنات، كما يلاحظ غياب الحوار العربي - العربي داخل فضاءات تلك المدوّنات باستثناء مناسبات مناقشة مواضيع مرتبطة بالغرب، لأن التركيز ينصبّ أكثر على مواضيع السياسة المحلية مصحوباً بانتقادات للزعماء السياسيين<sup>(٦٠)</sup>.

(٥٥) وقد مكّنت اللغات الأجنبية المدوّنين والمتفاعلين معهم من مناقشة مواضيع كانت تُعتبر من المحرّمات في المنطقة العربية، ومن التمتع بحرية أكبر من تلك التي يتمتع بها محررو المدوّنات بالعربية، هذا فضلاً عن امتلاك القدرة على مخاطبة النخب الغربية، من الباحثين وأصحاب القرار، التي تهتم بشؤون المنطقة العربية.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٩٣.

Marc Lynch, «Blogging the New Arab Public,» *Arab Media and Society* (February 2007), p. 5, (٥٧)

< [http://www.arabmediasociety.com/articles/downloads/20070312155027\\_AMS1\\_Mar\\_c\\_Lynch.pdf](http://www.arabmediasociety.com/articles/downloads/20070312155027_AMS1_Mar_c_Lynch.pdf) > .

Joel Whitaker and Anand Varghese, «Briefing Report: Online Discourse in the Arab World: (٥٨)

Dispelling the Myths,» Report of United States Institute of Peace (Washington) (December 2009), p. 2.

Bruce Etling [et al.], «Mapping the Arabic Blogosphere: Politics, Culture, and Dissent,» (٥٩)

*Berkman Center Research Publication*, no. 2009-06 (2009), p. 6.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٦.



وتغطي المدونات - إلى حد بعيد - المواضيع المتعلقة بالسياسة الدولية، وإنّ ليس بمقدار تغطية مواضيع السياسة الداخلية، فيظهر التأييد للفلسطينيين وقضاياهم شديداً، كما هو الأمر بالنسبة إلى انتقاد إسرائيل.

- في ما يتعلق بالأنشطة الإرهابية، تشير الدراسة إلى أن المدونات العربية لا تستعمل من أجل دعم التطرف، والدعوة إلى الكراهية، ودعم الأعمال الإرهابية. أما المشاركة في الجهادية العسكرية، فتبقى مسألة أقلية، ويفسر ذلك بأن الجهاديين لا يعملون في المساحات المفتوحة من المدونات لأنهم لا يلجأون إلى المدونات علانية، ويضعون عوائق للحؤول دون تتبعهم<sup>(٦١)</sup>. وتشير الدراسة أيضاً إلى صعوبة تقييم مفهوم يتسم بالذاتية كما هو الأمر مع مفهوم «الإرهاب».

- في ما يتعلق بمصادر معلومات المدونات العربية، يتجه المدونون العرب إلى وسائل إعلامهم الوطنية، كما تحتل المصادر الإلكترونية أهمية خاصة، ولا سيما الـ «يو تيوب» والـ «ويكيبيديا»، ثم المواقع الإلكترونية لقناة الجزيرة وقناة الـ «بي بي سي» العربية<sup>(٦٢)</sup>.

وتطرح المدونات في الوطن العربي أسئلة جوهرية في ما يتعلق بقدرتها على تفعيل الممارسة والتعبئة السياسية. وهنا لا بد من القول إنه إذا كانت الحكمة تقتضي التحلي بنوع من الشك حول فعاليتها، فالواقع يُظهر أن المدونات تعرف تغييرات، وتتجه إلى اكتساب أهمية على المستوى السياسي. فالمدونون بدأوا يُحدثون تأثيرات واضحة في عدد من البلدان العربية<sup>(٦٣)</sup>، بما يمكن أن يسمح للأفراد العاديين بإعادة انخراطهم في السياسة، وشحذ ممارساتهم التحليلية والجدلية، وتجاوز الخطوط الحمر التي تضعها الدولة وتجبر وسائل الإعلام العربية الأكثر استقلالية على احترامها. إن المدونات الوطنية تساهم في جعل الزعماء مسؤولين بطريقة تختلف عما حققته وسائل الإعلام التقليدية، خاصة عندما يلجأ بعض المدونين إلى عرض مقاطع من الفيديو الرقمي تتضمن ممارسات لبعض المسؤولين منافية للقوانين أو لأخلاق المجتمع.

من التأثيرات الأخرى التي تمتلكها المدونات العربية إنعاش المجال العام العربي وتطويره

(٦١) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٦٢) ومن الأمثلة على هذا الدور المتزايد ما تقوم به مدونات حركة كفاية في مصر ومدونات في البحرين في أثناء الاحتجاجات السياسية، وفي لبنان خلال مرحلة ما بعد رفيق الحريري، وفي ليبيا في أثناء حملات مناهضة الرشوة، وأيضاً خلال الانتخابات الكويتية لعام ٢٠٠٦. في هذا الإطار، رغم أن للأجواء السياسية تأثيراً مهماً في أدوار المدونات: الانتخابات، نقاشات النخبة الحادة، بعض فضائح الفساد والفصائح الأخلاقية، فإن المدونات تعدّ عاملاً مساعداً أو محفزاً للتعبئة السياسية بمناسبتها. انظر: Lynch, «Blogging the New Arab Public», p. 2.

(٦٣) تشكك الباحثة نائلة حمدي في قدرة العقوبات على ردع المدونين وعلى ثنيهم عن التدوين، وتفسر ذلك باعتبارين اثنين: (١) كون غالبية المدونين تنتمي إلى فئة الشباب يجعلها تتمتع بالشجاعة الفطرية، وعدم الخوف، والرغبة الكبيرة في التعبير عن آرائها. (٢) غالبية الكتاب في المدونات هي في الأصل نشطاء سياسيون يعدّ التدوين بالنسبة إليهم امتداداً لنشاطهم السياسي، وهم لذلك لا يبالون بإزعاج السلطات الذي يعتبرونه فحراً، ويتعمدون أحياناً استفزازها ما دام القبض عليهم هو أحد الطرق للتعريف بقضيتهم.

من خلال أشكال جديدة للتحليل والخطابات، وعبر إسماع عدد كبير من الأصوات. هذه السيرة لا تتم من دون إثارة المدونين لردود أفعال السلطات، ومن دون أن تُطرح من جديد الأسئلة المتعلقة بالحرية والتوازن بين النظام العام وحقوق الأفراد وحياتهم.

وتعزّض بعض المدونين للسجن يعطي رسالة عن المخاطر التي يواجهها المدونون السياسيون. كما إنه يكون وراء سلوكات التحفظ والمراقبة الذاتية، وأحياناً العزوف عن ممارسة النشاط السياسي<sup>(٦٤)</sup>. فاللقاء نظرة على المدونات التونسية مثلاً يكشف أن التدوين التونسي نادراً ما يتعامل مع المواضيع التي تتعلق بالسياسة الداخلية. ويقوم المدونون الذين يتحدثون في قضايا السياسة غالباً بتحليل ما يقع على الساحة الدولية من دون الإشارة إلى ما يحصل في بلدهم. إن هذا العزوف عن قضايا السياسة التونسية يفسّر في الغالب بالحذر من التعرّض لردود أفعال السلطات التونسية، التي عبّرت في مناسبات عدة بأنها لا تتسامح مع المعارضين لسياساتها، كما تعرض عدد من مستخدمي الإنترنت للسجن بسبب التعبير عن آرائهم<sup>(٦٥)</sup>.

وإذا كانت الحكومات العربية بصفة عامة تتسامح مع التدوين بسبب انخفاض حجم الجمهور، ولاعتباره أحد المؤشرات التي تمكّنها من التعرّف إلى مصادر الاضطرابات، فإن ازدياد أعداد المدونين وتأثيرهم السياسي يطرح ضرورة إيجاد قواعد تحدّد حقوق المدونين وواجباتهم، والحماية والحقوق والمسؤولية التي تقع عليهم. فالمدونون لا يُعتبرون صحفيين، وليس لهم إطار نقابي، كما لا توجد قوانين خاصة بالمدونات الإلكترونية، الأمر يجب أن يدفعهم إلى التفكير جماعياً وفردياً في إيجاد معايير أخلاقية لهم، بحيث يتلافون التعرّض لعقوبات بسبب مدوناتهم<sup>(٦٦)</sup>.

## ٢ - محدّدات الإعلام الجديد في الوطن العربي

لقد أبرز المحوران السابقان التأثير الذي يمارسه الإعلام الجديد على مستوى أدوار النشطاء السياسيين والمدونين. ورغم تصاعد أهمية هذا الإعلام في العمل السياسي، لا بد من الإشارة إلى أن فعاليته وتأثيره الإيجابي يبقيان مرهونين في الوطن العربي بمجموعة من العوامل، في مقدمتها درجة انتشار وسائله، أي تكنولوجيا المعرفة والاتصال في المجتمعات العربية، بالإضافة إلى هامش الحرية التي تكفله الأنظمة السياسية لوسائل الإعلام بصفة عامة، ومن ضمنها الأشكال الجديدة منها، المتمثلة في الإعلام الجديد، وطبيعة ثقافة الأفراد، وإن كانت تشجعهم على استعمالها... إلخ. وسنركز في هذا الخصوص على العاملين الأولين.

(٦٤) انظر: Hamdy, «Arab Citizen Journalism in Action: Challenging Mainstream Media, Authorities and Media Laws», p. 105.

Lynch, Ibid., p. 25.

Hamdy, Ibid., p. 106.

(٦٥)

(٦٦)

## أ - انتشار تكنولوجيا المعلومات والمعرفة في المجتمعات العربية

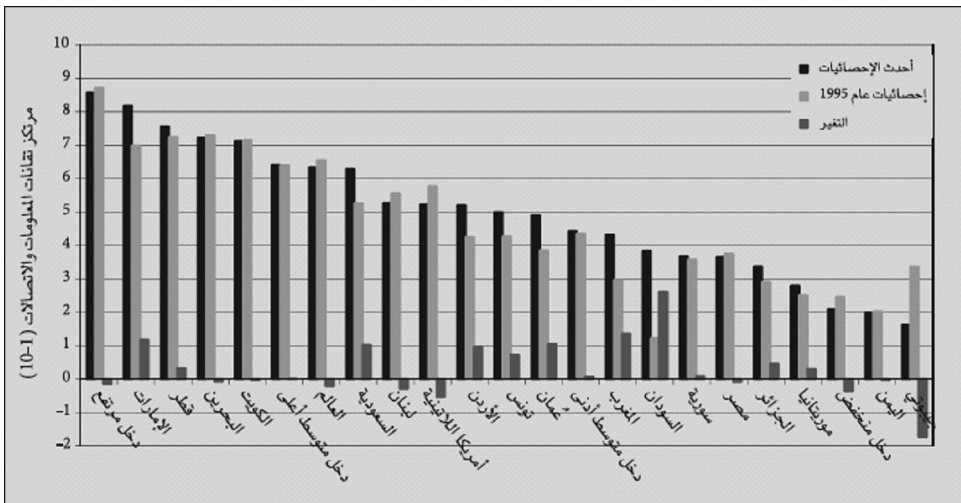
لقد عرف انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة في الوطن العربي خلال السنوات الأخيرة طفرة مهمة، إلا أن تعزيز ذلك الانتشار ليشمل جميع شرائح المجتمعات العربية يعدّ رهاناً جوهرياً لتفعيل مساهمتها في تطوير الممارسة السياسية للفاعلين كافة، ولتحقيق الانتقال إلى مجتمع المعرفة.

في هذا الإطار، نستشهد بمؤشر البنك الدولي لتكنولوجيا الاتصال والمعرفة، الذي يركّز على التقدّم الذي تسجّله الدول على مستوى انتشار خطوط الهاتف الثابت والحواشيب والإنترنت.

بحسب تقرير المعرفة العربي لعام ٢٠٠٩، حقّقت البلدان العربية تقدماً على مستوى ذلك المؤشر، وذلك، من خلال القيام بمقارنة بين عامي ١٩٩٥ و ٢٠٠٩ (الشكل الرقم (١))، لكن ينبغي ألاّ يحجب هذا التقدّم وضعيّة تكنولوجيا الاتصال والمعرفة في الوطن العربي؛ فباستثناء العربية السعودية والكويت، يبقى متوسط الحواشيب لكل ١٠٠٠ مواطن دون المتوسط العالمي (الشكل الرقم (٢)). أما في ما يتعلق بمستخدمي الإنترنت، فغالبية البلدان العربية تتموقع أيضاً دون المتوسط العالمي (الشكل الرقم (٣))، والأمر نفسه يسجّل على مستوى حزمة النفاذ إلى شبكة الإنترنت (الشكل الرقم (٤)).

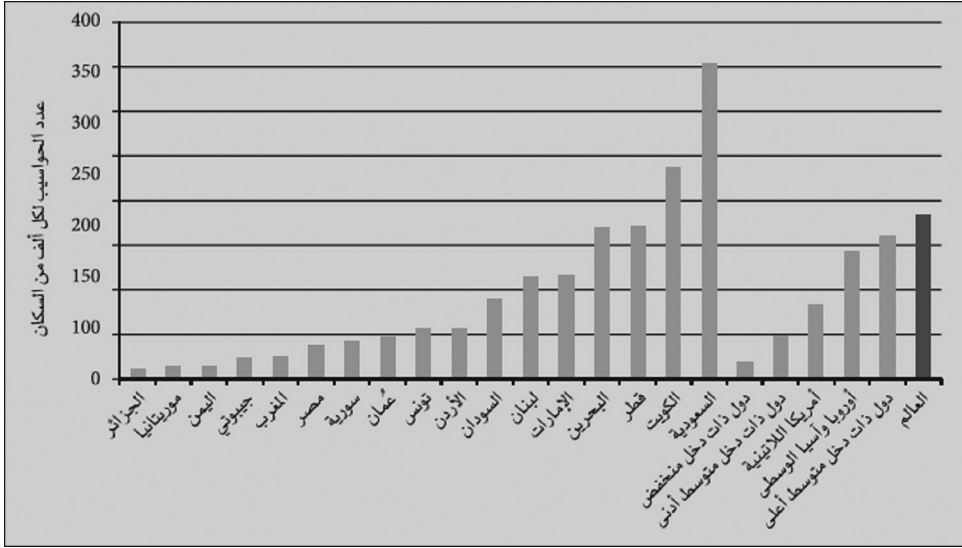
### الشكل الرقم (١)

قيم دليل تكنولوجيات المعلومات والاتصالات في بلدان عربية ومجموعات منتقاة من دول العالم (في العام ١٩٩٥، ووفق أحدث الإحصاءات، مع قيم التغيّر سلباً وإيجاباً)



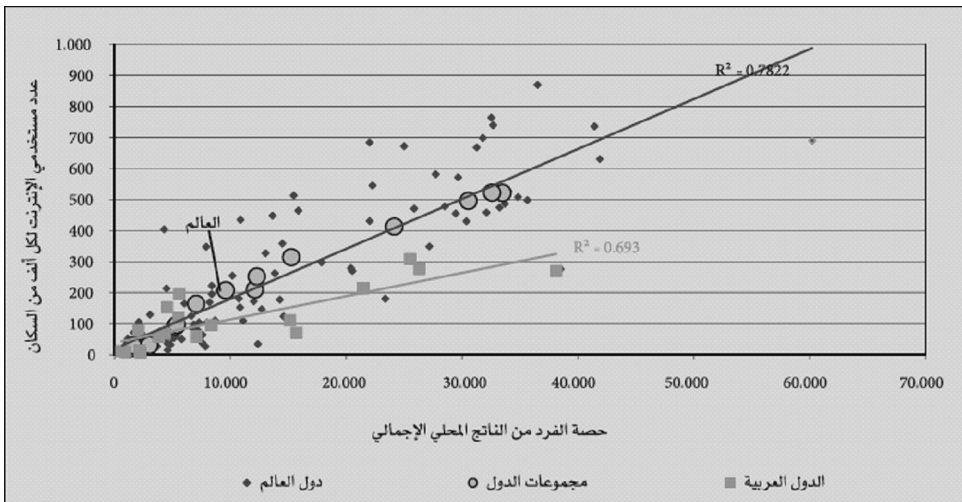
المصدر: «منهجية تقييم الأداء المعرفي»، قاعدة بيانات البنك الدولي (١٣ شباط/فبراير ٢٠٠٩)، ودّ في: تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠٠٩: نحو تواصل معرفي منتج (دبي: دار الغرير للطباعة، ٢٠٠٩)، ص ١٢٨.

## الشكل الرقم (٢) عدد الحواسيب لكل ألف من السكان في البلدان العربية ومجموعات منتقاة من دول العالم



المصدر: المصدر نفسه، ص ١٢٩.

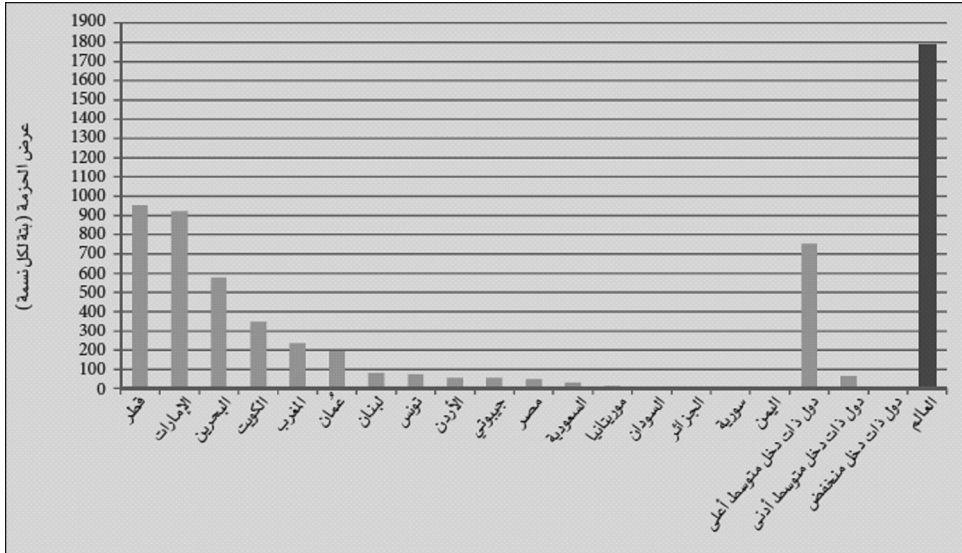
## الشكل الرقم (٣) أعداد مستخدمي الإنترنت في البلدان العربية ودول العالم ومجموعات منتقاة منها نسبة إلى حصة الفرد من الناتج المحلي الخام



المصدر: المصدر نفسه، ص ١٣٠.

#### الشكل الرقم (٤)

### عرض حزمة النفاذ إلى شبكات الإنترنت الدولية في البلدان العربية ومجموعات منتقاة من دول العالم



المصدر: المصدر نفسه، ص ١٣١.

#### ب - أسئلة الحرية

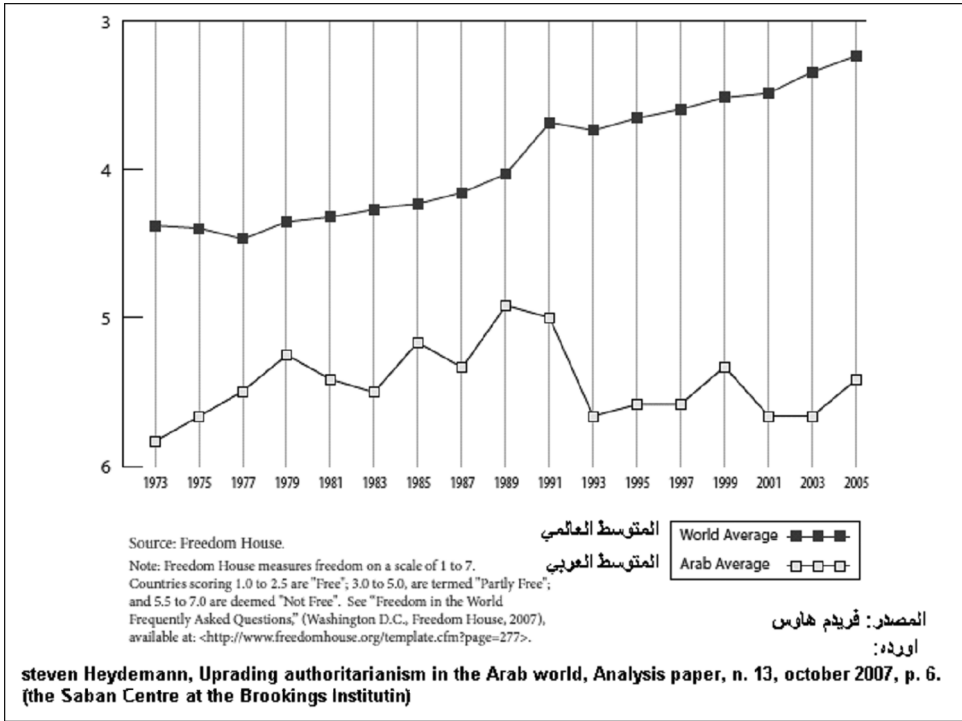
إن سؤال الحرية هو أحد الأسئلة الجوهرية التي تُطرح عادة عند الحديث عن تطوير الممارسة السياسية في الوطن العربي؛ فهو من العوامل التي يُشار إليها لتفسير عزوف الأفراد عن شؤون السياسة في البلدان العربية، ذلك بأن الحرية لا تنفصل عن قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، بل إن البعض يشترط ربطها بوضعية الحريات العامة الأخرى، السياسية منها والاجتماعية والثقافية والدينية<sup>(٦٧)</sup>، لأن التقدم على هذه المستويات يؤدي إلى توسيع هامش الحرية، وهو الأمر الذي ينعكس على المشاركة والانخراط في المؤسسات السياسية.

في هذا الصدد، يصعب من الناحية المنهجية القيام بتعميم على مستوى الاتجاه نحو الديمقراطية في المنطقة العربية، بسبب اختلاف الأنظمة السياسية العربية، وتنوع السياق التاريخي الخاص بكل بلد عربي، سواء قبل فترة الاستعمار أو بعد حصول البلد على

Khaled Hroub, «Internet Freedom in the Arab World: Its Impact, State Controls», (٦٧) Islamisation and the Overestimation of it All, p. 4, < <http://www.iemed.org/anuari/2009/aarticles/a267.pdf> > .

الاستقلال. وتُظهر المعطيات الصادرة عن «فريدم هاوس» أن البلدان العربية عرفت اتجاهًا متصاعداً ومتواضعاً نحو الديمقراطية في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، رغم أن ذلك يبقى بعيداً عن المتوسط العالمي خلال الفترة نفسها، وفق ما يُظهره الرسم البياني التالي.

### الشكل الرقم (٥) الديمقراطية في البلدان العربية

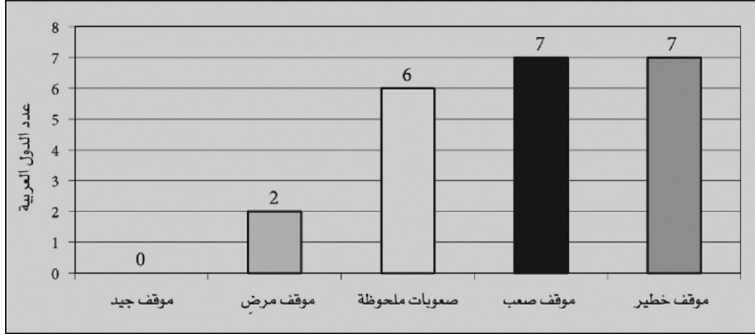


إن رصد حرية الصحافة في الوطن العربي يعدّ مؤشراً آخر لمقاربة حرية وسائل المعرفة والاتصال الجديدة. وعلى هذا المستوى أيضاً نجد أن المنطقة العربية تعرف حالات اعتقال الصحفيين ومنع وسائل الإعلام. وفي ما يخص الهامش الذي تتمتع به مؤسسات الإعلام والصحفيون، وكذا مجهود الدولة لاحترام حرية الصحافة، فإن معظم البلدان العربية يتفاوت موقفها بين «موقف خطير» و«موقف صعب»<sup>(٦٨)</sup>.

(٦٨) مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠٠٩: نحو تواصل معرفي منتج (دبي: دار الغرير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩)، ص ٥٥.

## الشكل الرقم (٦)

### توزيع دليل حرية الصحافة في البلدان العربية، ٢٠٠٨



المصدر: مراسلون بلا حدود، [بالإنكليزية]، وقد وُردَ في: تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠٠٩: نحو تواصل معرفي منتج، ص ٥٦.

وفي مجال استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة، لابد من الاعتراف بأن هذه التكنولوجيا ساهمت في توسيع هامش الحرية الذي يتمتع به الأفراد في الوطن العربي، وفي تحفيز المشاركة والممارسة السياسية على نحو ما رأينا سابقاً. وهي تُعتبر في الوقت نفسه إحدى قنوات رفع مستويات مؤهلاتهم، وتوسيع الخيارات المفتوحة أمامهم. أما الحرية التي يتمتع بها الأفراد، فتتأثر بالرقابة التي تمارسها الحكومات والتي تتأسس في الغالب على اعتبارات المحافظة على أمن الدولة، والحفاظ على الوحدة الوطنية والأدب العامة<sup>(٦٩)</sup>. إنها تطرح إشكالية التوفيق بين هذه الاعتبارات وحرية الأفراد، لأن تحقيق التوازن بينهما يساهم بدرجة كبيرة في تحفيز المشاركة ودعمها.

وتعدّ الإنترنت أحد المؤشرات القوية لقياس حرية تكنولوجيا المعرفة والاتصال الجديدة في الوطن العربي. وفي هذا الصدد، يشير تقرير مراسلون بلا حدود لعام ٢٠٠٩ إلى أن من بين البلدان الـ ١٢ في العالم التي صنّفتها هذه المنظمة بأنها عدوة للإنترنت، نجد أربعة بلدان عربية (العربية السعودية ومصر وسورية وتونس). والتصنيف هذا يقوم على مدى فرض الرقابة على المعلومات على الشبكة، وعلى معاقبة مستعمليها<sup>(٧٠)</sup>. وتأخذ الرقابة التي تمارسها الحكومات عادة أحد الأشكال التالية:

– تقييد الشبكات وفرض التسجيل كأحد شروط الانخراط فيها.

– تقييد المحتويات من خلال تقنية الترشيح وتصفية المعلومات، وتطبيق الحظر على مواقع، واتخاذ الإجراءات التأديبية، بل حتى مهاجمة المواقع الممنوعة بفيروسات إلكترونية.

Hroub, Ibid., p. 3.

«Les Ennemies de l'internet,» Reporters Sans Frontières (12 mars 2009), p. 2.

(٦٩)

(٧٠)

- التهديد بالاعتقال أو السجن لمن يلج معلومات غير مرخص لها، أو لمن يستعمل شبكات الإنترنت للتنظيم السياسي المحظور أو للتعبئة السياسية الممنوعة<sup>(٧١)</sup>.

إن الترشيح والرقابة يطبقان أيضاً على تكنولوجيا الإعلام الأخرى، كالبث عبر الأقمار الاصطناعية أو الهواتف النقالة ورسائلها القصيرة، حيث يمكن أن يتعرض المخالفون لإجراءات المنع أو السجن<sup>(٧٢)</sup>. وتتفاوت إجراءات البلدان العربية في ما يتعلق بالرقابة المطبقة؛ فبعضها يستخدم ترشيح ومنع المواقع التي تعتبرها غير قانونية (العربية السعودية وسورية وتونس واليمن)، بينما يتم في بلدان أخرى تفعيل الترشيح من خلال التركيز فقط على بعض مواقع المعارضة السياسية (الإمارات العربية المتحدة والبحرين والأردن)، في حين تقوم قطر بترشيح المواقع الإباحية. أما اللوج إلى الإنترنت من دون تطبيق رقابة الترشيح، فيطبق في المغرب والجزائر وليبيا ومصر والسودان ولبنان والعراق والكويت<sup>(٧٣)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن خصوصية تكنولوجيا المعرفة والاتصال<sup>(٧٤)</sup> تقلل من فعالية الرقابة الممارسة، نظراً إلى أن في إمكان الأفراد والجماعات استعمال وسائل تقنية لتجاوزها، إلا إذا تعلق الأمر بإجراءات الاعتقال أو السجن. علاوة على ذلك، لم تستطع الإجراءات التي تتخذها الحكومات، بحسب ألبريخت هوفهاينز (A. Hofheinz)، إسكات أصوات المعارضين على الإنترنت، أو منع ازدياد استعمال التكنولوجيا لتقوية الاتصال والتنسيق بين المعارضين

---

Farid Shirazi, «The Contribution of ICT to Freedom and Democracy: An Empirical Analysis (٧١) of Archival Data on the Middle East,» *Electronic Journal on Information Systems in Developing Countries*, vol. 35, no. 6 (2008), p. 11.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ١٢.

Hofheinz, «The Internet in the Arab World: Playground for Political Liberalization,» p. 79. (٧٣)

(٧٤) ذلك أن المفهوم الأساسي للتواصل الاجتماعي لم يعد يعتمد بصفة حصرية على العوامل الاجتماعية السياسية، مثل حرية التعبير، أو حتى على العوامل الاقتصادية المرتبطة بالسوق، بل أخذ يعتمد أكثر فأكثر على أشكال «نقل المعلومات» التي تخول تقنيات المعرفة والتواصل الجديدة قنوات متعددة للقيام بذلك النقل، من خلال قنوات تستطيع تجاوز التنظيمات القانونية والإدارية التي تعمل على ضبطها. إن هذا الاتجاه دفع بميغيل مورagas (Moragas) إلى ملاحظة ازدياد قدرات التواصل المتاحة للأفراد وفق المظاهر التالية:

- ارتفاع القدرة على إعادة الإنتاج، مع تزايد عدد النشرات المتخصصة، وظهور إمكانات امتلاك وسائل النشر الذاتية والمستقلة.

- زيادة القدرة على الإنتاج السمعي البصري بواسطة قطاع الصناعة في هذا المجال، وأيضاً من خلال إنتاج الهواة.

- زيادة «القدرة» على النقل، مع إنشاء قنوات جديدة للاتصالات، كالأقمار الاصطناعية وشبكة الإنترنت والنقل اللاسلكي.

- زيادة القدرة على اختيار المعلومات ومعالجتها عبر التقنيات الجديدة للمعلومات.

انظر: Miquel de Moragas, «New Technology and Changes in the Mass Media: Considerations for Political Scientists,» Universitat Autònoma de Barcelona (Barcelona), Working Paper; no. 17 (1990), pp. 3-4, < <http://www.recercat.net/bitstream/2072/1467/1/ICPS17.pdf> >.



ونشطاء المجتمع المدني. فمنع بعض المواقع يجعل الأفراد يتجهون إلى مواقع أخرى لم يطلها المنع بعد، ولا يعوق أولئك الذين يريدون التواصل مع المعارضين ما داموا يستطيعون العثور بسهولة نسبية على طرق لتجنب إجراءات الرقابة<sup>(٧٥)</sup>.

## خاتمة

أظهرت التوجهات العالمية والعربية في مجال استخدام تكنولوجيا الإعلام الجديد في الميدان السياسي، رغم حداثة هذا الاستخدام، أن هذه التكنولوجيا ساهمت إلى حد ما في ديناميكية جديدة للنشاط السياسي؛ إذ صارت الحواسيب وشبكة الإنترنت والهواتف النقالة... إلخ، وبشكل سريع، أحد المستويات والمجالات الجديدة للممارسة السياسية. ولا شك في أن ذلك سيعزز بالتدريج خلال السنوات القادمة،

**المدونون لا يُعتبرون صحفيين،  
وليس لهم إطار نقابي، كما  
لا توجد قوانين خاصة بالمدونات  
الإلكترونية، الأمر الذي يجب أن  
يدفعهم إلى التفكير جماعياً  
وفردياً في إيجاد معايير أخلاقية  
لهم، كيلا يتعرضوا لعقوبات.**

مع انتشار تلك التكنولوجيا في المجتمعات، وازدياد تقبل الأفراد لاعتمادها في مختلف أنشطتهم اليومية. ورغم أهمية هذه التوجهات العميقة التي تخترق المجتمعات كافة، ومع الإقرار بدورها في زيادة قدرات الناشطين والممارسة السياسية، فلا ينبغي المبالغة كثيراً في تلك الأدوار، أو الاعتقاد في في الوقت الحالي على الأقل بأنها ستعوض الممارسة السياسية التقليدية، المجال الحيوي للكائنات السياسية،

التي تستخدم التكنولوجيا الجديدة لخدمة أجندتها وتطبيق برامجها. ولهذا، فإن الأسئلة القديمة ذاتها تتكرر في حالة تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة، أسئلة الحرية، إطارها القانوني، التوازن بين حقوق وحرية الأفراد والنظام العام... إلخ.

إن أبحاثاً تفصيلية لاستخدام هذه التكنولوجيا في التنظيمات السياسية، وفي جميع مجالات تدخلها (الانتخابات، الصحافة، التنظيم والإدارة الداخلية، التواصل بين الأعضاء ومع العالم الخارجي... إلخ). يمكن أن توصل إلى فهم أعمق للاستخدامات التي تؤدي إلى فعالية أكبر، وإلى المعوقات التي تحول دون الاستفادة من إمكانياتها. والجاذبية التي تمارسها تلك التكنولوجيا على البحث الاجتماعي والسياسي تنبع بشكل متصاعد من المجالات التي تدرج فيها: الإنتاج، التعليم، التدبير... إلخ، وهو الأمر الذي يطرح على البلدان العربية إعداد خطط البحث، وتكوين فرق متعددة التخصصات، بهدف دراسة آثارها في المجالات السالفة، وتوظيف خلاصات تلك الدراسة في مجال السياسة والاقتصاد والمجتمع.

## الجدول الملحق

### أسباب الفاعلية السياسية في ٢٠ بلداً أوروبياً

	Gender (fem)	Age	Education	Political Interest	Exposure to TV	Exposure to Newsps.	Exposure to Internet	R <sup>2</sup>
♂	♀	♂	♂	♂	♂	♂	♂	
<i>Western/ Northern Europe</i>								
Austria	-,007	,029	,147***	-,309***	-,083***	,025	,081**	.182
Belgium	,014	-,047	,147***	-,295***	-,020	,001	,109***	.176
Switzerland	-,045	-,099***	,106***	-,325***	-,157***	-,021	,110***	.200
Denmark	,077*	-,105***	,084**	-,279***	-,126***	,091	,181***	.161
Finland	-,011	-,096***	,144***	-,285***	-,101***	,060**	,169***	.217
France	,004	-,049*	,173***	-,307***	-,053*	,053*	,118***	.227
United Kingdom	-,084***	-,073***	,181***	-,305***	-,084***	,023	,102***	.217
Ireland	,047*	,004	,108***	-,307***	-,060**	,023	,097***	.164
Luxembourg	,068	,003	,113***	-,293***	-,071**	,053*	,046	.157
Netherlands	-,077***	-,081***	,190***	-,235***	-,114***	,042*	,115***	.187
Norway	,005	-,111***	,104***	-,272***	-,137***	,047*	,183***	.203
Sweden	,075**	-,077***	,046*	-,339***	-,080***	,036	,114***	.183
<i>Southern Europe</i>								
Spain	,040	,015	,133***	-,246***	-,029	,043	,205***	.222
Greece	,067**	-,017	,057*	-,266***	-,079***	,052*	,071**	.126
Italy	,029	-,034	,087**	-,365***	-,011	,035	,102***	.207
Portugal	,028	,030	,088**	-,341***	-,048*	,089**	,017	.192
<i>Eastern Europe</i>								
Czech Republic	,101***	-,001	,080**	-,250***	-,072**	,034	,170***	.161
Hungary	-,017	,000	,108***	-,138***	-,043	,052*	,065*	.060
Poland	-,036	,003	,252***	-,165***	-,046*	,081***	,091***	.192
Slovenia	,036	,039	,040	-,275***	-,043	,026	,150***	.125

المصدر: Oscar García Luengo, «E-Activism: New Media and Political Participation in Europe», *Confines* (2-4 August-December 2006), pp.66-67.